

الشهادة لمعين بالشهادة (هل يقال : فلان شهيد ؟)

د. سليمان بن محمد الديبخي
كلية المعلمين بحائل

ملخص البحث :

الشهادة منزلة عالية، ودرجة رفيعة، لا يجوز إطلاقها إلا على من أطلق عليه الشارع ذلك، كما لا يجوز أن يلحق بها أوصاف لم ترد بها النصوص، فلا يجوز أن يقال: شهيد الفن، أو شهيد الوطن، أو شهيد الواجب، أو شهيد العروبة ... ونحو ذلك. ومما انتهت إليه الدراسة من نتائج:

منها أن الشهيد في الأصل: من قتل مجاهداً في سبيل الله، لكن جاءت النصوص بإطلاقه على غيره أيضاً، كالمطعون والمبطون والغريق ونحوهم. ومنها أن أحكام الشهيد الدنيوية، كعدم التكفين والتغسيل والصلاة عليه، إنما هي خاصة بشهيد المعركة فقط. ومنها أن معتقد أهل السنة والجماعة عدم القطع لمعين بجنة ولا نار، فلا يشهدون بذلك إلا لمن شهد له الكتاب أو السنة. ومنها أن الحكم بالشهادة يأتي على وجهين: أحدهما: أن يكون ذلك على سبيل الإطلاق والعموم، كأن يقيد ذلك بوصف جاءت به النصوص، فيقال مثلاً: من قتل في سبيل الله فهو شهيد. وهذا لا خلاف في جوازه، حيث جاءت به النصوص. والثاني: أن يكون ذلك على سبيل التعيين والتحديد، فتقيد الشهادة بشخص معين، فيقال مثلاً: فلان شهيد. فهذا هو الذي وقع فيه الخلاف على قولين: أحدهما: الجواز، والثاني: المنع، وهو الأظهر، فلا يحكم لمعين بالشهادة إلا بنص.

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن الشهادة في سبيل الله تعالى مطلب غالٍ نفيس، طالما تمنّاها الصالحون والأخيار من عباد الله، بل ويتمناها الشهيد نفسه بعد موته لما يرى من الكرامة، والمنزلة الرفيعة العالية، التي أعدها الله لمن قتل في سبيله، فاللهم إنا نسألك الشهادة في سبيلك.

لكن مما يلاحظ أن هذا المصطلح الشرعي صار مبتدلاً رخيصاً عند بعض الناس، فصاروا يطلقونه على من قتل منافحاً عن مبدأ أو فكر منحرف، كالعلمانية أو الشيوعية أو العروبة ... ونحو ذلك، وقد قال عليه الصلاة والسلام كما في حديث أبي هريرة: "مَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ^(١) يَغْضَبُ لِعَصْبَةٍ، أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصْبَةٍ، أَوْ يَنْصُرُ عَصْبَةً، فَقَتِلَ فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ" رواه مسلم^(٢).

وربما ألحق بعض الناس بهذا اللفظ الشرعي أوصافاً لم ترد بها النصوص، وقد يكون في بعضها محادةً لله ورسوله صلى الله عليه وسلم، فتراهم يقولون: شهيد الفن، وشهيد العروبة، وشهيد الحرية، وشهيد الوطن ... الخ، ولا ريب أن هذه تسميات وأوصاف باطلة، لا يجوز إطلاقها، لأن فيها تعد على حكم الله

(١) قال النووي في شرحه على مسلم (٤٨١/١٢): "هي بضم العين وكسرهما، لغتان مشهورتان، والميم مكسورة مشددة، والياء مشددة أيضاً، قالوا: هي الأمر الأعمى لا يستبين وجهه، كذا قاله أحمد بن حنبل والجمهور" أوينظر: المعلم للمازري (٣/٣٥٠).

(٢) في كتاب: الإمارة، باب: وجوب ملازمة جماعة المسلمين (١٢/٤٨٠) ح (١٨٤٨).

وحكم رسوله صلى الله عليه وسلم، فيجب الوقوف عند نصوص الكتاب والسنة، فلا نطلق لفظ (الشهيد) إلا على من أطلق عليه الشرع ذلك. وثمة أمر آخر جرى على ألسنة بعض الناس في القديم والحديث، وهو: وصف من مات بسبب من أسباب الشهادة التي جاءت بها النصوص بـ(الشهيد) عل وجه التعيين، كمن مات في المعركة ضد الكفار، أو مات بالطاعون، أو بالغرق ... ونحو ذلك، فيقولون: الشهيد فلان، كمن قتل في هذا الوقت بفلسطين، أو الشيشان، أو العراق

فهل هذا الإطلاق جائز، فيسوغ حينئذ الحكم على المعين بالشهادة؟ هذا ما حاولت تسليط الضوء عليه في الصفحات التالية، وقبل ذلك عرّفت بالشهيد، وذكرت سبب تسميته بذلك، ولأن لفظ الشهيد والوصف بالشهادة لا يختص بالمقتول في سبيل الله، بل ورد وصف غيره بذلك، فقد عقدت مطلباً أوردت فيه شيئاً من الأحاديث الدالة على ذلك، ثم أتبعته بمطلب ذكرت فيه فضل الشهادة في سبيل الله، وأن شهيد المعركة أفضل أنواع الشهداء، يليه مطلب بيّنت فيه أن مذهب أهل السنة والجماعة عدم القطع لمعين بجنة ولا نار، وذلك لأن من أحكام الشهيد الأخروية القطع له بالجنة كما نص على ذلك أهل العلم، كما ستري.

فصار هذا البحث في خمسة مطالب وخاتمة، يلي ذلك فهرس للمراجع والمصادر، وكان مجيء المطالب على النحو الآتي :

والمطالب كالتالي :

المطلب الأول: في بيان معنى الشهيد، وسبب تسميته بذلك.

المطلب الثاني: في بيان أنواع الشهداء.

المطلب الثالث: في بيان فضل الشهادة في سبيل الله لإعلاء كلمة الله.

المطلب الرابع: في بيان أن مذهب أهل السنة والجماعة عدم القطع لمعين بجنة ولا نار.

المطلب الخامس: هل يقال: فلان شهيد؟

هذا والله تعالى أسأل أن يلهمني الرشd والصواب والسداد والتوفيق، وأن يجعل عملي لوجهه خالصاً، ولسنة نبيه صلى الله عليه وسلم موافقاً، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

* * *

المطلب الأول: في بيان معنى الشهيد وسبب تسميته بذلك:

الشهيد في اللغة:

قال ابن فارس: «السين والهاء والذال: أصلٌ يدل على حضور، وعلم، وإعلام... ومن ذلك الشهادة، يجمع الأصول التي ذكرناها، من الحضور والعلم والإعلام»^(١).

والشهيد في اللغة: على وزن "فعليل" مشتق من الفعل: شَهِدَ يَشْهَدُ شهادةً، فهو شاهد وشهيد.

فشاهد وشهيد بمعنى واحد، مثل عالم وعليم، وناصر ونصير^(٢).
«وشهد فلان بحق، فهو شاهد وشهيد، واستشهد فلان فهو شهيد، إذا مات شهيداً»^(٣).

«والشهيد: المقتول في سبيل الله، والجمع: شهداء»^(٤).
وأما الشهيد في لسان الشرع فهو في الأصل: المقتول في سبيل الله، نصراً عليه القرطبي وحكاه عن أهل اللغة^(٥) ثم أطلق على من أطلق عليه النبي صلى الله عليه وسلم ذلك، كالمبطون والغرق ونحوهما.
قال ابن الأثير: «الشهيد في الأصل: من قتل مجاهداً في سبيل الله، ويجمع على شهداء، ثم اتسع فيه فأطلق على من سماه النبي صلى الله عليه وسلم، من المبطون، والغرق، والحرق، وصاحب الهدم، وذات الجنب، وغيرهم»^(٦)^(٧).

(١) معجم مقاييس اللغة (٢٢١/٣) مادة: (شهد).

(٢) يُنظر: جوهرة اللغة لابن دريد (٦٥٣/٢) (١٢٤٨/٣).

(٣) تهذيب اللغة للأزهري (٤٨/٦) مادة: (شهد).

(٤) لسان العرب (٢٤٢/٣) مادة: (شهد).

(٥) التذكرة (٤٤٣/١) وينظر: تهذيب اللغة للأزهري (٤٨/٦) ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢٢١/٣).

والصاحح للجوهري (٤٣٠/٢) كلهم مادة: (شهد).

(٦) وسيأتي قريباً ذكر الأدلة على ذلك.

(٧) النهاية (٥١٣/٢).

وأما سبب تسميته بذلك فقد اختلف فيه على عدة أقوال^(١) :
 فقيل : سمي بذلك لأنه حي ، فكأن روحه شاهدة ، أي حاضرة ، قاله النضر
 ابن شميل .
 قال الأزهري : « أراه تأوّل قول الله عز وجل : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي
 سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ »^(٢) كان أرواحهم أُحضرت دار
 السلام أحياء ، وأرواح غيرهم أُخّرت إلى يوم البعث ، وهذا قول حسن^(٣) .
 وقيل : لأن الله وملائكته يشهدون له بالجنة ، قاله ابن الأنباري واختاره ابن
 الأثير^(٤) .

وقيل : لأن الملائكة تشهد له بحسن الخاتمة .

وقيل : لأن الأنبياء تشهد له بحسن الاتباع لهم .

وقيل : لأن الله يشهد له بحسن نيته وإخلاصه .

وقيل : لأن هذه الأمة تشهد له بالجنة .

(١) ينظر : تهذيب اللغة (٤٧/٦ - ٤٨) ومعجم مقاييس اللغة (٢٢١/٣) كلاهما مادة (شهد) وتفسير
 غريب ما في الصحيحين للحميدي (٣٧١) والمجموع المغيث في غريب القرآن والحديث لأبي موسى
 المديني (٢٣٤/٢) وإكمال المعلم (٢٩٧/٦) والنهاية لابن الأثير (٥١٣/٢) والمفهم (٣٥٢/١) وشرح
 النووي على مسلم (٥٢٣/٢) و (٢٨/١٣) والتذكرة (٤٤٣/١ - ٤٤٤) ومشارع الأشواق إلى مصارع
 العشاق (٦٩٣/٢ - ٦٩٤) وطرح الثريب (٢٠٥/٧) والفتح (٤٢/٦ - ٤٣) وبذل الماعون في فضل
 الطاعون (١٩٠) .

(٢) سورة : آل عمران ، آية : (١٦٩) .

(٣) تهذيب اللغة (٤٧/٦ - ٤٨) .

(٤) ينظر : النهاية (٥١٣/٢) .

وقيل: لأنه يشهد يوم القيامة بإبلاغ الرسل، قال النووي: وعلى هذا القول يشاركه غيره في هذا الوصف^(١).

وقيل: لأنه يشاهد الملائكة عند احتضاره.

وقيل: لأنه يشاهد الدارين: دار الدنيا ودار الآخرة.

وقيل: لأنه مشهود له بالأمان من النار.

وقيل: لأن عليه علامة شاهدة بأنه قد نُجِّي.

وقيل: لأنه يشهد عند خروج روحه ما أعد له من الكرامة.

وقيل: لأنه لا يشهده عند موته إلا ملائكة الرحمة.

وقيل: لأن عليه شاهداً يشهد بكونه شهيداً، وهو الدم، فإنه يبعث يوم القيامة وجرحه يثعب دماً.

وقيل غير ذلك.

قال ابن حجر بعد أن ذكر أغلب ما تقدم: « وبعض هذه يختص بمن قتل في سبيل الله، وبعضها يعم غيره، وبعضها قد ينازع فيه »^(٢).

وقال في موضع آخر: « وبعض هذه التعريفات يختص بشهيد المعركة، وبعضها يشمل غيره، وبعضها مدخول، لاشتراك غير الشهيد مع الشهيد فيها »^(٣).

* * *

(١) ينظر: شرح النووي على مسلم (٢٨/١٣) و (٥٢٣/٢).

(٢) الفتح (٤٣/٦).

(٣) بذل الماعون (١٩١).

المطلب الثاني: في بيان أنواع الشهداء:

جاء في السنة ما يدل على أن وصف: "الشهيد" لا يختص إطلاقه بالمقتول في سبيل الله، بل هناك ميتات معينة أطلق النبي صلى الله عليه وسلم على من مات فيها وصف الشهيد، وذلك في أحاديث كثيرة، منها:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (الشُّهَدَاءُ خَمْسَةٌ الْمَطْعُونُ^(١) وَالْمَبْطُونُ^(٢) وَالْغَرِقُ وَصَاحِبُ الْهَذَمِ وَالشَّهِيدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) متفق عليه^(٣)

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (الطَّاعُونَ شَهَادَةٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ) متفق عليه^(٤)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَا تَعْدُونَ الشَّهِيدَ فِيكُمْ؟) قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، قَالَ: (إِنَّ شَهَدَاءَ أُمَّتِي إِذَا لَقِيتُ) قَالُوا فَمَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: (مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي الطَّاعُونَ فَهُوَ

(١) هو الذي يموت في الطاعون، كما في حيث أنس الذي بعده. ينظر: النهاية لابن الأثير (١٢٧/٣) والمعلم

للمازري (٣٩/٣) وإكمال المعلم للقاضي عياض (٣٤٣/٦) وشرح النووي على مسلم (١٣/٦٦).

(٢) هو الذي يموت بمرض بطنه، كالاستسقاء، أو الاسهال ونحوهما. ينظر: النهاية (١٣٦/١) والتمهيد

(٢٠٧/١٩) وإكمال المعلم (٣٤٤/٦) وشرح النووي على مسلم (١٣/٦٦).

(٣) البخاري: كتاب: الجهاد، باب: الشهادة سبع سوى القتل (١٠٤١/٣) ح (٢٦٧٤) ومسلم: كتاب:

الإمارة، باب: بيان الشهداء (٦٦/١٣) ح (١٩١٤).

(٤) البخاري: كتاب: الجهاد، باب: الشهادة سبع سوى القتل (١٠٤١/٣) ح (٢٦٧٥) ومسلم: كتاب:

الإمارة، باب: بيان الشهداء (٦٧/١٣) ح (١٩١٦).

شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي الْبَطْنِ فَهُوَ شَهِيدٌ (رواه مسلم، زاد في رواية: (وَالْغَرِقُ شَهِيدٌ ^(١)).

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَتِيكَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (مَا تَعْدُونَ الشَّهَادَةَ؟) قَالُوا: الْقَتْلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (الشَّهَادَةُ سَبْعٌ سِوَى الْقَتْلِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، الْمَطْعُونُ شَهِيدٌ، وَالْمَبْطُونُ شَهِيدٌ، وَالْغَرِيقُ شَهِيدٌ، وَصَاحِبُ الْهَدَمِ شَهِيدٌ، وَصَاحِبُ ذَاتِ الْجَنْبِ ^(٢) شَهِيدٌ، وَصَاحِبُ الْحَرَقِ شَهِيدٌ، وَالْمَرْأَةُ تَمُوتُ يَجْمَعُ ^(٣) شَهِيدَةً ^(٤)).

(١) مسلم: كتاب: كتاب: الإمارة، باب: بيان الشهداء (٦٦/١٣) ح (١٩١٥).

(٢) "ذات الجنب: هي الذئيلة والدمل الكبيرة التي تظهر في باطن الجنب، وتنفجر إلى داخل، وقلما يسلم صاحبها... والجنوب: الذي أخذته ذات الجنب، وقيل: أراد بالجنوب: الذي يشتكي جنبه مطلقاً" لانهاية لابن الأثير (٣٠٣/١ - ٣٠٤) وينظر: شرح النووي على مسلم (٦٦/١٣) ولسان العرب (٢٨١/١).

(٣) قال الحافظ في الفتح (٤٣/٦): "هو بضم الجيم وسكون الميم، وقد تفتح الجيم وتكسر أيضاً، وهي النفساء، وقيل: التي يموت ولدها في بطنها ثم تموت بسبب ذلك، وقيل: التي تموت بمزدلفه، وهو خطأ ظاهر، وقيل: التي تموت عذراء، والأول أشهر" وصحح النووي وابن الأثير كون المراد بها: التي تموت حاملاً جامعة ولدها في بطنها. لينظر: شرح النووي على مسلم (٦٦/١٣ - ٦٧) وانهاية لابن الأثير (٢٩٦/١) والتمهيد (٢٠٧/١٩ - ٢٠٨) والتذكرة للقرطبي (٤٣٩/١).

(٤) أخرجه: النسائي في كتاب: الجنائز، باب: النهي عن البكاء على الميت (٣١٢/٤) ح (١٨٤٥) وأبو داود: كتاب: الجنائز، باب: في فضل من مات بالطاعون (عون) (٢٦١/٨) ح (٣١٠٩) وأحمد في المسند (١٦٢/٣٩) ح (٢٣٧٥٣) ومالك في الموطأ: كتاب: الجنائز، باب: النهي عن البكاء على الميت (٢٣٣/١) ح (٣٦) والحاكم في المستدرک (٥٠٣/١) ح (١٣٠٠) وقال: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه" ووافقه الذهبي، وقال النووي في شرحه على مسلم (٦٦/١٣) بعدما أورد رواية مالك: "وهذا الحديث الذي رواه مالك صحيح بلا خلاف".

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ) متفق عليه^(١).

وهناك أحاديث أخرى تضمنت الزيادة على ما ذكر، منها الصحيح ومنها الضعيف، والمقصود هنا مجرد الإشارة إلى أن وصف الشهيد قد جاء إطلاقه على غير المقتول في سبيل الله تعالى.

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله تعالى - : « وقد اجتمع لنا من الطرق الجيدة أكثر من عشرين خصلة »^(٢) فذكرها ثم قال: « ووردت أحاديث أخرى في أمور أخرى لم أعرج عليها لضعفها »^(٣).

قال النووي: « قال العلماء: وإنما كانت هذه الموتات شهادة بتفضل الله تعالى بسبب شدتها وكثرة ألقاها »^(٤).

وقال ابن حجر: « فهذه الخصال ورد في كل منها أن صاحبها شهيد، بمعنى أنه يعطى أجر الشهيد، وغالبها ميتات فيها شدة، تفضل الله بها على الأمة المحمدية بأن جعلها تمحيصاً لذنوبهم، وزيادة في أجورهم، ومراتبها مع ذلك متفاوتة فيما يظهر، حتى في الأشخاص، والله أعلم »^(٥).

(١) البخاري: كتاب: المظالم، باب: من قاتل دون ماله (٨٧٧/٢) ح (٢٣٤٨) ومسلم: كتاب: الإيمان، باب: الدليل على أن من قصد أخذ مال غيره ... (٥٢٢/٢) ح (١٤٠).

(٢) الفتح (٤٣/٦) وينظر: بذل الماعون في فضل الطاعون له (١٨٠ - ١٨٥) والتذكرة للقرطبي (٤٣٨/١ - ٤٤٣) وأبواب السعادة في أسباب الشهادة للسيوطي.

(٣) الفتح (٤٤/٦).

(٤) شرح النووي على مسلم (٦٧/١٣) وينظر: الفتح (٤٤/٦).

(٥) بذل الماعون في فضل الطاعون (١٨٦) وينظر: (١٩٦).

ومما ينبغي التنبيه عليه: أن المراد بالشهادة لهؤلاء الذكورين سوى المقتول في سبيل الله: أنهم يكونون مثل الشهيد في بعض أحكام الآخرة من حيث الثواب والأجر، ونحو ذلك.

وأما في أحكام الدنيا فإنهم كغيرهم من عموم المسلمين، فلا يُجرى عليهم أحكام الشهيد الدنيوية، ككونه لا يغسل ولا يكفن ولا يصلى عليه^(١).

قال النووي: «المراد بشهادة هؤلاء كلهم غير المقتول في سبيل الله: أنهم يكون لهم في الآخرة ثواب الشهداء، وأما في الدنيا فيغسلون ويصلى عليهم»^(٢).

وقال ابن قدامة: «فأما الشهيد بغير قتل، كالمبطون، والمطعون، والغرق، وصاحب الهدم، والنفساء، فإنهم يغسلون، ويصلى عليهم، لا نعلم فيه خلافاً، إلا ما يحكى عن الحسن: لا يصلى على النفساء لأنها شهيدة»^(٣).

وعلى هذا فالشهداء أقسام:

١ - شهيد في الدنيا والآخرة، وهو من قتل في حرب الكفار لإعلاء كلمة الله، وهذا أفضل الأقسام.

٢ - وشهيد في الدنيا فقط، وهو من قتل في حرب الكفار، وقام به مانع يمنع من تحقق الشهادة الكاملة فيه، كفساد النية، أو الغلول^(٤)، ونحو ذلك.

(١) ينظر لمعرفة أقوال أهل العلم على وجه التفصيل في هذه الأحكام: المغني (٤٦٧/٣ - ٤٧٨) وأحكام الشهيد في الفقه الإسلامي لعبد الرحمن العمري (٢٤٧ - ٢٨٩) وأحكام المجاهد بالنفس في سبيل الله عز وجل في الفقه الإسلامي للدكتور مرعي بن عبد الله مرعي (٢٥٢/١ - ٢٧٤) والجهاد والقتال في السياسة الشرعية للدكتور محمد خير هيكل (١٢١١/٢ - ١٢٢٦).

(٢) شرح النووي على مسلم (٦٧/١٣) وينظر: رياض الصالحين (٥١٦).

(٣) المغني (٤٧٦/٣).

(٤) وسيأتي ذكر الأدلة على ذلك.

والمراد بكون هذا شهيداً: أنه تجرى عليه أحكام الشهيد الدنيوية من عدم التغسيل والتكفين والصلاة عليه، وقد ينازع في تسمية هذا شهيداً، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قد نفى عنه الشهادة.

٣- وشهيد في الآخرة فقط، وهو من عدا ذلك، من المذكورين في الأحاديث المتقدمة وغيرها، فيعطون من جنس أجر الشهداء، ولا تجري عليهم أحكامهم الدنيوية^(١).

قال النووي: «اعلم أن الشهيد ثلاثة أقسام:

أحدها: المقتول في حرب الكفار بسبب من أسباب القتال، فهذا له حكم الشهداء في ثواب الآخرة وفي أحكام الدنيا، وهو أنه لا يغسل ولا يصلى عليه. والثاني: شهيد في الثواب دون أحكام الدنيا، وهو المبطلون والمطعون وصاحب الهدم ومن قتل دون ماله، وغيرهم ممن جاءت الأحاديث الصحيحة بتسميته شهيداً، فهذا يغسل ويصلى عليه، وله في الآخرة ثواب الشهداء، ولا يلزم أن يكون مثل ثواب الأول.

والثالث: من غلّ في الغنيمة، وشبهه ممن وردت الآثار بنفي تسميته شهيداً إذا قتل في حرب الكفار، فهذا له حكم الشهداء في الدنيا، فلا يغسل ولا يصلى عليه، وليس له ثوابهم الكامل في الآخرة، والله أعلم^(٢).

(١) ينظر: الفروع لابن مفلح (٣/٣٠٠) وبذل الماعون (١٨٩) والفتح (٤٤/٦) وشرح رياض الصالحين للعثيمين (٥١٧/٣ - ٥١٨).

(٢) شرح النووي على مسلم (٥٢٣/٢) و (٦٧/١٣).

وأعلى أنواع هؤلاء الشهداء: المقتول في سبيل الله تعالى لإعلاء كلمة الله عز وجل^(١) فعن جابر قال: سئل النبي صلى الله عليه وسلم أي الجهاد أفضل؟ قال: (مَنْ عَقَرَ جَوَادَهُ وَأَهْرَبَ دَمَهُ)^(٢).

وعن عبد الله بن حبشي الخثعمي أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل: أي الأعمال أفضل؟ قال: (إِيمَانٌ لَا شَكَّ فِيهِ، وَجِهَادٌ لَا غُلُولَ فِيهِ، وَحُجَّةٌ مَبْرُورَةٌ) قيل: فأَيُّ الصلاة أفضل؟ قال: (طُولُ الْقُنُوتِ) قيل: فأَيُّ الصدقة أفضل؟ قال: (جُهْدُ الْمُقِلِّ) قيل: فأَيُّ الهجرة أفضل؟ قال: (مَنْ هَجَرَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ) قيل: فأَيُّ الجهاد أفضل؟ قال: (مَنْ جَاهَدَ الْمُشْرِكِينَ بِمَالِهِ وَنَفْسِهِ) قيل: فأَيُّ القتل أشرف؟ قال: (مَنْ أَهْرَبَ دَمَهُ وَعَقَرَ جَوَادَهُ)^(٣).

قال ابن عبد البر: «وإذا كان من هرق دمه، وعقر جواده، أفضل الشهداء، علم أنه من لم يكن بتلك الصفة فهو مفضول»^(٤).

وعلى هذا فلا يلزم من وصف هؤلاء المذكورين بالشهادة مساواتهم لشهيد المعركة من كل وجه في ثواب الآخرة، لأن مراتبهم متفاوتة - كما أشار إلى ذلك ابن حجر فيما تقدم، ومثله النووي عند ذكر القسم الثاني من أقسام الشهداء -

(١) ينظر: شرح رياض الصالحين (٥١٧/٣).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (١٢٠/٢٢) ح (١٤١٠) و (١٣٨/٢٢) ح (١٤٣٣) والدارمي في سننه: كتاب: الجهاد، باب: أي الجهاد أفضل (٢٠٠/٢) ح (٢٣٩٢) وابن حبان في صحيحه (٤٩٦/١٠) ح (٤٦٣٩) وقال المحقق شعيب الأرناؤوط: «إسناده صحيح على شرط مسلم».

(٣) أخرجه النسائي في كتاب: الزكاة، باب: جهد المقل (٦١/٥) ح (٢٥٢٥) والدارمي في كتاب الصلاة، باب: أي الصلاة أفضل، ح (١٣٨٨) وأحمد في مسنده (١٢٢/٢٤) ح (١٥٤٠١) وصححه الألباني كما في صحيح سنن النسائي (٥٣١/٢ - ٥٣٢) ح (٢٣٦٦).

(٤) التمهيد (٢٣٧/١).

بل إن شهداء المعركة أنفسهم يتفاضلون في الأجر والثواب بحسب ما قام في نفوسهم من الإخلاص وقصد وجه الله تعالى، وغير ذلك.

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ ، كُلُّ دَرَجَتَيْنِ مَا بَيْنَهُمَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَسَلُّوهُ الْفَرْدَوْسَ ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ) رواه البخاري^(١).

قال ابن النحاس عن شهداء المعركة: « والظاهر أن أرواحهم عند الله على رتب في المكان، كما أنها على رتب في المكانة ... وإنما تفاوت منازل أرواحهم لتفاوت رتب إخلاصهم، وسماحة أنفسهم بأنفسهم، وما كانوا عليه قبل حصول الشهادة من رتب الإسلام والإيمان والإحسان »^(٢).

وقال ابن حجر: « والذي يظهر أن المذكورين ليسوا في المرتبة سواء »^(٣) ثم استدل بحديث جابر - رضي الله عنه - المتقدم.

وقال الزجاج بعد أن ذكر أن أمة محمد صلى الله عليه وسلم تشهد للأنبياء على أقوامهم في الآخرة: « والشهادة تكون للأفضل فالأفضل من أمته، فأفضلهم من قتل في سبيل الله مجاهداً أعداء الله، لتكون كلمة الله هي العليا، مُيزت هذه الطبقة عن الأمة بالفضل الذي حازوه، ويُنَّ الله أنهم أحياء عند ربهم يرزقون، فرحين بما آتاهم الله من فضله.

(١) في كتاب: التوحيد، باب: (وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ) (٢٧٠٠/٦) ح (٦٩٧٨).

(٢) مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق (٧٠٠/٢).

(٣) الفتح (٤٤/٦) وينظر: بذل الماعون (١٩٤، ٢٠٠، ٢٠١).

ثم يتلوهم في الفضل من جعله النبي صلى الله عليه وسلم في عداد الشهداء، فإنه قال: (المبطون شهيد، والمطعون شهيد) ...^(١).

وقال الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله تعالى - : « أما بقية الشهداء المذكورين في الحديث فهم شهداء في الآخرة، لا في الدنيا، ومع ذلك فإنهم لا يساؤون الذين قتلوا في سبيل الله، ولكنهم شهداء ﴿ وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ عَمَلًا ﴾^(٢) ﴿^(٣)».

* * *

(١) نقل ذلك عنه الأزهرى في تهذيب اللغة (٤٨/٦).

(٢) سورة: الأحقاف، آية: (١٩).

(٣) شرح رياض الصالحين (٥١٨/٣).

المطلب الثالث: في بيان فضل الشهادة في سبيل الله لإعلاء كلمة الله:

الشهادة في سبيل الله تعالى رتبة عظيمة، ومنزلة رفيعة، ودرجة عالية، لا يُلقاها إلا ذو حظٍ عظيم، ولا ينالها إلا من كتب الله له الفوز والسعادة الدائمة الأبدية، وذلك لما رتب الله عليها من الثواب العظيم والأجر الجزيل، والنعيم المقيم، وقد جاءت نصوص الكتاب والسنة متوافرة ومتظافرة في الدلالة على ذلك:

فمن الكتاب: قوله تعالى: ﴿ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴾ ^(١).

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ بَلْ أحيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ ^(٢).

وقال الله عز وجل: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ ^(٣) فرحين بما آتاهم الله من فضله، وَسَتَبَشِّرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ ^(٤) * يَسْتَبَشِّرُونَ بِبِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ^(٥).

وقال جل شأنه: ﴿ وَمَنْ يُقْتَلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ ^(٦).

(١) سورة: النساء، آية: (٦٩).

(٢) سورة: البقرة، آية: (١٥٤).

(٣) سورة: آل عمران، الآيات: (١٦٩ - ١٧١).

(٤) سورة: النساء، آية: (٧٤).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾^(١)

والآيات في هذا كثيرة.

وأما نصوص السنة الدالة على فضل الشهادة في سبيل الله تعالى فكثيرة - أيضاً - ومتنوعة، فمن ذلك^(٢):

- أنه ليس أحد يدخل الجنة ويحب أن يخرج منها، ولو أُعطي ما في الدنيا جميعاً إلا الشهيد، فإنه يتمنى أن يرده الله إلى الدنيا ليقتل في سبيل الله كما قُتل أولاً، لما يرى من عظيم كرامة الشهداء على الله تعالى، فقد ثبت في الصحيحين وغيرهما عن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (مَا أَحَدٌ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يُحِبُّ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا وَلَهُ مَا عَلَى الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا الشَّهِيدُ، يَتَمَنَّى أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا فَيُقْتَلَ عَشْرَ مَرَّاتٍ لِمَا يَرَى مِنَ الْكَرَامَةِ)^(٣).

وفي رواية: (لِمَا يَرَى مِنْ فَضْلِ الشَّهَادَةِ).

(١) سورة: التوبة، آية: (١١١).

(٢) ينظر: مشارع الأشواق (٧١٧/٢ -) وتفريغ الكرب بفضائل شهيد المعارك والحرب للدكتور باسم الجوابرة.

(٣) البخاري: كتاب: الجهاد، باب: تمني المجاهد أن يرجع إلى الدنيا (١٠٣٧/٣) ح (٢٦٦٢) ومسلم: كتاب: الإمارة، باب: فضل الشهادة في سبيل الله تعالى (٢٧/١٣) ح (١٨٧٧).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (تَضَمَّنَ اللَّهُ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ، لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا جِهَادًا فِي سَبِيلِي، وَإِيمَانًا بِي، وَتَصَدِيقًا بِرُسُلِي، فَهُوَ عَلَيَّ ضَامِنٌ أَنْ أَدْخِلَهُ الْجَنَّةَ أَوْ أَرْجِعَهُ إِلَى مَسْكَنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ نَائِلًا مَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بَيْنَ يَدَيَّ مَا مِنْ كَلِمٍ يُكَلِّمُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَهَيْئَتِهِ حِينَ كَلِمَ، لَوْنُهُ لَوْنُ دَمٍ، وَرِيحُهُ مِسْكٌ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بَيْنَ يَدَيَّ لَوْ لَأَنْ يَشُقُّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مَا قَعَدْتُ خِلَافَ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَبَدًا، وَلَكِنْ لَا أَحِدُ سَعَةٍ فَأَحْمِلَهُمْ، وَلَا يَجِدُونَ سَعَةً وَيَشُقُّ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بَيْنَ يَدَيَّ لَوُدِدْتُ أَنِّي أَغْزُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأَقْتُلُ، ثُمَّ أَغْزُو فَأَقْتُلُ، ثُمَّ أَغْزُو فَأَقْتُلُ) رواه مسلم^(١).

- ومن فضائل الشهادة: أن الشهيد تكفر عنه خطاياہ إلا الدين، فعن أبي قتادة، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَامَ فِيهِمْ فَذَكَرَ لَهُمْ: (أَنَّ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالْإِيمَانَ بِاللَّهِ، أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ) فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تُكَفِّرُ عَنِّي خَطَايَايَ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (نَعَمْ إِنْ قُتِلْتَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ، مُقْبِلٌ غَيْرُ مُذِيرٍ) ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كَيْفَ قُلْتَ؟ قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتُكَفِّرُ عَنِّي خَطَايَايَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (نَعَمْ وَأَنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ مُقْبِلٌ غَيْرُ مُذِيرٍ إِلَّا الدِّينَ، فَإِنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لِي ذَلِكَ) رواه مسلم^(٢).

(١) في كتاب: الإمارة، باب: فضل الجهاد والخروج في سبيل الله (٢٣/١٣) ح (١٨٧٦).

(٢) في كتاب: الإمارة، باب: من قتل في سبيل الله كفر خطاياہ إلا الدين (٣٢/١٣) ح (١٨٨٥).

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (يُغْفَرُ لِلشَّهِيدِ كُلُّ ذَنْبٍ إِلَّا الدِّينَ) رواه مسلم^(١).

قال النووي: « فيه هذه الفضيلة العظيمة للمجاهد، وهي: تكفير خطاياها كلها - إلا حقوق الأدميين - وإنما يكون تكفيرها بالشروط المذكورة، وهو أن يقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر^(٢) ».

- ومن فضائل الشهادة: أنها موجبة لدخول الجنة، إذا كانت خالصة لله تعالى، فَعَنْ سَمُرَةَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتْيَانِي فَصَعِدَا بِي الشَّجَرَةَ فَأَدْخَلَانِي دَارًا هِيَ أَحْسَنُ وَأَفْضَلُ، لَمْ أَرَ قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهَا، قَالَا: أَمَا هَذِهِ الدَّارُ فَدَارُ الشُّهَدَاءِ) رواه البخاري^(٣).

وعن أبي هريرة عن رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: (يُضْحَكُ اللَّهُ لِرَجُلَيْنِ يُقْتَلُ أَحَدُهُمَا الْآخَرُ كِلَاهُمَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ) قَالُوا كَيْفَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: (يُقْتَلُ هَذَا فَيَلْجُ الْجَنَّةَ، ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَى الْآخَرِ فَيَهْدِيهِ إِلَى الْإِسْلَامِ، ثُمَّ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَسْتَشْهِدُ) متفق عليه^(٤).

- ومن فضائلها: أن الشهداء المقتولين في سبيل الله يجعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر في الجنة، فَعَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: سَأَلْنَا عَبْدَ اللَّهِ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ:

(١) في كتاب: الإمارة، باب: من قتل في سبيل الله كفرت خطاياهم إلا الدين (٣٣/١٣) ح (١٨٨٦).

(٢) شرح النووي على مسلم (٣٢/١٣ - ٣٣) وينظر: مشارع الأشواق (٢/٧٢٠ - ٧٢١).

(٣) في كتاب: الجهاد، باب: درجات المجاهدين في سبيل الله (١٠٢٨/٣) ح (٢٦٣٨).

(٤) البخاري: كتاب: الجهاد، باب: الكافر يقتل المسلم ثم يسلم فيسدد بعدد يقتل (١٠٤٠/٣) ح

(٢٦٧١) ومسلم واللفظ له: كتاب: الإمارة، باب: بيان الرجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة

(٣٩/١٣) ح (١٨٩٠).

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾^(١)
 قَالَ: أَمَّا إِنَّا قَدْ سَأَلْنَا عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: (أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خَضِرٍ لَهَا قَنَادِيلُ
 مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ، فَاطْلَعَ
 إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ أَطْلَاعَةً فَقَالَ: هَلْ تَسْتَهْوُونَ شَيْئًا؟ قَالُوا: أَيُّ شَيْءٍ تَسْتَهْوِي وَنَحْنُ نَسْرَحُ
 مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شِئْنَا، فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهِمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَنْ يُتْرَكُوا مِنْ
 أَنْ يُسْأَلُوا قَالُوا: يَا رَبُّ نُرِيدُ أَنْ تَرُدَّ أَرْوَاحَنَا فِي أَجْسَادِنَا حَتَّى نُقْتَلَ فِي سَبِيلِكَ مَرَّةً
 أُخْرَى، فَلَمَّا رَأَى أَنْ لَيْسَ لَهُمْ حَاجَةٌ تُرْكُوا) رواه مسلم^(٢).

- ومن فضائل الشهادة: أن الشهيد يشفع في سبعين من أهل بيته، فعن أبي
 الدرداء قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (يُشَفَّعُ الشَّهِيدُ فِي سَبْعِينَ
 مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ)^(٣).

إلى غير ذلك من الفضائل العظيمة، المترتبة على الشهادة في سبيل الله، وليس
 الغرض هنا استقصاؤها واستيفائها - مع صعوبة ذلك وعسره - وإنما الغرض هو
 مجرد الإشارة إلى شيء منها.

* * *

(١) سورة: آل عمران، آية: (١٦٩).

(٢) في كتاب الإمارة، باب: بيان أن أرواح الشهداء في الجنة، وأنهم أحياء عند ربهم يرزقون (٣٤/١٣) ح (١٨٨٧).

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب: الجهاد، باب: الشهيد يشفع (عون ١٤١/٧) ح (٢٥١٩) وابن حبان في
 صحيحه: كتاب السير، باب: فضل الشهادة (٥١٧/١٠) ح (٤٦٦٠) وصححه الألباني كما في صحيح
 سنن أبي داود (٤٧٩/٢) ح (٢٢٠١).

المطلب الرابع: في بيان أن مذهب أهل السنة والجماعة عدم القطع لمعين بجنة ولا

نار:

الحكم لمعين بالجنة أو النار لا يكون إلا بوحى من الله تعالى ، لأنه وحده المطلع على أعمال القلوب وخبائها ، فكم من إنسان أظهر التقى والصلاح وهو على خلاف ذلك ، وكم من إنسان ختم له بخاتمة سيئة أحبطت عمله أو جميع أعماله ، فَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلًا أَهْلُ الْجَنَّةِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلًا أَهْلُ النَّارِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ) متفق عليه^(١).

وفي رواية للبخاري: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (الْأَعْمَالُ بِالْخَوَاتِيمِ)^(٢).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ يَعْمَلُ أَهْلُ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ يَعْمَلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ يَعْمَلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ يَعْمَلُ أَهْلُ النَّارِ فَيَدْخُلُ النَّارَ) متفق عليه^(٣).

(١) البخاري: كتاب: الجهاد، باب: لا يقول: فلان شهيد (١٠٦١/٣) ح (٢٧٤١) ومسلم: كتاب:

الإيمان، باب: غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه (٤٨٤/٢) ح (١١٢).

(٢) كتاب: القدر، باب: العمل بالخواتيم (٢٤٣٦/٦) ح (٦٢٣٣).

(٣) البخاري: كتاب: الأنبياء، باب: قول الله تعالى: { وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً }

(١٢١٢/٣) ح (٣١٥٤) ومسلم: كتاب: القدر، باب: كيفية الخلق الآدمي (٤٢٩/١٦) ح (٢٦٤٣).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ الزَّمَنَ الطَّوِيلَ يَعْمَلُ أَهْلَ الْجَنَّةِ ثُمَّ يُخْتَمُ لَهُ عَمَلُهُ يَعْمَلُ أَهْلَ النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ الزَّمَنَ الطَّوِيلَ يَعْمَلُ أَهْلَ النَّارِ ثُمَّ يُخْتَمُ لَهُ عَمَلُهُ يَعْمَلُ أَهْلَ الْجَنَّةِ) رواه مسلم^(١).

ولهذا كان من مذهب السلف أهل السنة والجماعة عدم القطع أو الشهادة لمعين بجنة ولا نار، فلا يشهدون إلا لمن شهد له الله تعالى، أو شهد له النبي صلى الله عليه وسلم بذلك، وشهادته عليه الصلاة والسلام راجعة إلى شهادة الله تعالى، لأنه لا يشهد إلا بوحي من ربه عز وجل.

روى أبو عبيد بسنده قال: «اجتمع الضحاك وميسرة وأبو البخثري، فأجمعوا على أن الشهادة بدعة، والإرجاء بدعة، والبراءة بدعة»^(٢).

قال ابن بطة بعدما ذكر أن الشهادة بدعة والبراءة بدعة: «والشهادة: أن يشهد لأحد ممن لم يأت فيه خبر أنه من أهل الجنة أو النار... والبراءة: أن يبرأ من قوم هم على دين الإسلام والسنة»^(٣).

وقال الصابوني في بيان عقيدة السلف وأصحاب الحديث: «ويعتقد ويشهد أهل الحديث: أن عواقب العباد مبهمة، لا يدري أحد بما يختم له، ولا يحكمون

(١) في كتاب: القدر، باب: كيفية الخلق الآدمي (٤٣٨/١٦) ح (٢٦٥١).

(٢) الإيمان (٣٤) وينظر: السنة لعبد الله بن الإمام أحمد (١/٣٢٦، ٣١٨ - ٣١٩، ٣٢٧) وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (٥/١٠٥٠، ١٠٤٨) قال الألباني في تعليقه على كتاب الإيمان لأبي عبيد: "إسناده إلى الجمع المذكور صحيح، وهم من صفوة التابعين... (والبراءة) من بدع الخوارج، الذين خرجوا على علي رضي الله عنه وتبرؤوا منه، ثم صارت البراءة لهم مذهباً عرفوا به، حتى كانوا يتبرؤون ممن كان منهم لمخالفته لهم، ولو في مسألة واحدة".

(٣) الشرح والإبانة (٣٦٥).

لواحد بعينه أنه من أهل الجنة، ولا يحكمون على أحد بعينه أنه من أهل النار، لأن ذلك مغيب عنهم، لا يعرفون على ما يموت عليه الإنسان، ولذلك يقولون: إنا مؤمنون إن شاء الله، أي: من المؤمنين الذين يختم لهم بخير إن شاء الله... فأما الذين شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصحابه بأعيانهم، فإن أصحاب الحديث يشهدون لهم بذلك، تصديقاً منهم للرسول صلى الله عليه وسلم فيما ذكره ووعدهم، فإنه صلى الله عليه وسلم لم يشهد لهم بها إلا بعد أن عرف ذلك، والله تعالى أطلع رسوله صلى الله عليه وسلم على ما شاء من غيبه، وبيان ذلك في قوله عز وجل: ﴿عَلِمُ الْغَيْبُ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ﴾^(١)...^(٢).

وقال قوام السنة أبو القاسم الأصبهاني: «ومن مذهب أهل السنة: أنهم لا يشهدون على أحد من أهل القبلة بالنار، وإن مات على كبيرة من الكبائر، ولا يشهدون لأحد أنه في الجنة، إلا لمن شهد له النبي صلى الله عليه وسلم، ونرجو لأهل القبلة الجنة، ونرغب في شهود جنازته وعبادته»^(٣).

وقال ابن تيمية: «قد نقف في الشخص المعين، فلا نشهد له بجنة ولا نار إلا من علم، لأن حقيقة باطنه وما مات عليه لا نحيط به، لكن نرجو للمحسن ونخاف على المسيء»^(٤).

وقال ابن أبي العز - معلقاً على قول الطحاوي في أهل القبلة:

(١) سورة: الجن، الآيتان: (٢٦ - ٢٧).

(٢) عقيدة السلف وأصحاب الحديث (٢٨٦، ٢٨٧).

(٣) الحجة في بيان المحجة (٢٨٦/٢).

(٤) منهاج السنة (٢٩٥/٥).

« ولا تُنزل أحداً منهم جنة ولا ناراً » - قال : « يريد أنا لا نقول عن أحد معين من أهل القبلة : إنه من أهل الجنة أو من أهل النار ، إلا من أخبر الصادق صلى الله عليه وسلم أنه من أهل الجنة ، كالعشرة رضي الله عنهم ، وإن كنا نقول : إنه لا بد أن يدخل النار من أهل الكباثر من يشاء الله إدخاله النار ، ثم يخرج منها بشفاعه الشافعين ، ولكننا نقف في الشخص المعين ، فلا نشهد له بجنة ولا نار إلا من عليم ، لأن حقيقة باطنه ، وما مات عليه لا نحيط به ، لكن نرجو للمحسن ، ونخاف على المسيء »^(١).

(١) شرح العقيدة الطحاوية (٥٣٧ - ٥٣٨) وينظر : الفروع لابن مفلح (٣/٣٠٤) مجموع فتاوى الشيخ ابن عثيمين (٣١٠/٤) ومعجم المناهي اللفظية للشيخ بكر أبو زيد (١٤١).

وذكر ابن تيمية في منهاج السنة (٥/٢٩٥) والنبوات (١/١٥٤ - ١٥٧) ومجموع الفتاوى (٢/٤٨٤) و (١١/٦٥) وعنه ابن أبي العز في شرح الطحاوية (٥٣٨) : أن للسلف في الشهادة بالجنة ثلاثة أقوال : أحدها : أنه لا يشهد لأحد إلا للأنبياء ، وهذا ينقل عن محمد بن الحنفية والأوزاعي وعلي بن المديني ، وغيرهم.

والثاني : أنه يشهد بالجنة لكل مؤمن جاء فيه النص ، وهذا قول كثير من العلماء وأهل الحديث .
والثالث : أنه يشهد بالجنة لهؤلاء ، ولمن شهد له المؤمنون ، لما في الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه قال : مرَّ بجنَّازة فأُتِيَ عَلَيْهَا خَيْرًا فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (وَجِبَتْ وَجِبَتْ) وَمرَّ بجنَّازة فأُتِيَ عَلَيْهَا شَرًّا فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (وَجِبَتْ وَجِبَتْ وَجِبَتْ) قَالَ عُمَرُ : فِدَى لَكَ أَبِي وَأُمِّي ، مرَّ بجنَّازة فأُتِيَ عَلَيْهَا خَيْرًا فَقُلْتُ : (وَجِبَتْ وَجِبَتْ وَجِبَتْ) وَمرَّ بجنَّازة فأُتِيَ عَلَيْهَا شَرًّا فَقُلْتُ : (وَجِبَتْ وَجِبَتْ وَجِبَتْ) فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (مَنْ أَتَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا وَجِبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ ، وَمَنْ أَتَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا وَجِبَتْ لَهُ النَّارُ ، أَتُمُّ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ ، أَتُمُّ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ ، أَتُمُّ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ) وكان أبو ثور يقول : " أشهد أن أحمد بن حنبل في الجنة ، ويحتج بهذا الحديث ، وإلى هذا مال ابن تيمية . والحديث أخرجه البخاري في كتاب : الجنائز ، باب : ثناء الناس على الميت (١٤٦٠) ح (١٣٠١) ومسلم - واللفظ له - في كتاب : الجنائز ، باب : فيمن يشئ عليه خير أو شر من الموتى (٧/٢٢) ح (٩٤٩) .

المطلب الخامس : هل يقال فلان شهيد :

تبيّن لنا - فيما تقدم - فضل الشهادة في سبيل الله تعالى ، وعظيم أجرها وثوابها عند الله تعالى ، والذي منه الفوز بالجنة والنجاة من النار .

كما تبيّن لنا أن وصف الشهادة لا يختص بقتيل المعركة ، بل يتعداه ليشمل أنواعاً أخرى من أسباب الوفيات ، كالطاعون ، والغرق ، والهدم ، وغيرها .
وتبيّن لنا أيضاً أن مذهب جمهور أهل السنة والجماعة عدم القطع لأحد بعينه بجنة ولا نار .

إذا تبيّن هذا كله فما حكم القطع بالشهادة لأحد معيّن ممن مات بسبب من أسباب الشهادة المتقدمة ، أيّ كان نوعها؟ .

قبل ذكر أقوال أهل العلم في هذه المسألة يحسن التنبيه إلى أنه لا خلاف بين أهل العلم في أن أحكام الشهيد الدنيوية - كعدم التغسيل أو التكفين أو الصلاة عليه - أنها جارية على كل من قتل في المعركة مع الكفار ، أيّ كان حاله ، فاسقاً أو صالحاً ، عاصياً أو مطيعاً .

واختلفوا في حكم إطلاق لفظ (الشهيد) على الشخص المعين - وذلك لما يستلزمه هذا الوصف من الأحكام الأخروية ، كالقطع لصاحبه بالجنة ، - على قولين :

القول الأول : جواز تسمية الشخص المعين ممن مات بسبب من أسباب الشهادة - المتقدم ذكرها وغيرها مما وردت به النصوص - بـ (الشهيد) وذلك بناءً على الحكم الظاهر المبني على الظن الغالب ، وعلى هذا درج بعض العلماء ، فأطلقوا لفظ الشهادة على أشخاص بأعيانهم ، كقولهم : الشهيد فلان ، أو : قتل فلان

شهيداً، أو: رزق الشهادة، أو: ختم له بالشهادة، أو: استشهد ... ومن أمثلة ذلك ما يلي:

ما جاء عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنه عندما سُئل عن قُثم بن العباس ما فعل؟ قال: استشهد^(١).

وقال يحيى بن معين في أحمد بن نصر المروزي عندما قُتل في فتنة القرآن: « ختم الله له بالشهادة »^(٢).

وقال الدارقطني في الإمام النسائي، عليهما رحمة الله: « خرج حاجاً فامتنح بدمشق، وأدرك الشهادة »^(٣).

وقال الحافظ محمد بن المظفر في الإمام النسائي أيضاً: « استشهد بدمشق من جهة الخوارج »^(٤).

وقال الذهبي في ترجمة أحمد بن نصر المروزي، عليهما رحمة الله: « الإمام الكبير الشهيد أبو عبد الله... »^(٥).

وقال أيضاً في ترجمة محمد بن أبي الحسين بن عمار: « الشهيد الإمام الحافظ ... »^(٦).

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه (٦٥٥/٣) ح (٦٤١١) وقال: " هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه " ووافقه الذهبي.

(٢) سير أعلام النبلاء (١٦٧/١١).

(٣) السير (١٣٢/١٤).

(٤) السير (١٣١/١٤ - ١٣٢).

(٥) السير (١٦٦/١١).

(٦) السير (٥٣٨/١٤).

وفي ترجمة أبي بكر محمد بن أحمد الرملي قال: « الإمام القدوة الشهيد محمد ... »^(١).

وقال ابن كثير في ذكر من قُتل في وقعة أجنادين من المسلمين: « واستشهد من المسلمين أيضاً جماعة، منهم: هشام بن العاص، والفضل بن العباس، وأبان بن سعيد، وأخواه خالد وعمرو، ... »^(٢)

وقال عن عامر بن مالك، أخو سعد بن أبي وقاص: « استشهد يوم اليرموك » وقال مثل ذلك عن: عبد الرحمن بن العوام، وعكرمة بن أبي جهل، وفراس ابن النضر ابن الحارث، ونضير بن الحارث بن علقمة.

وقال عن عمرو بن أم مكتوم: « استشهد يوم القادسية »^(٣).

وقال عن الحارث بن هشام، أخو أبي جهل: « استشهد بالشام »^(٤).

وقال عن الفضل بن العباس: « استشهد بطاعون عَمَواس »^(٥).

وقال في معرض ذكره لمن مات بطاعون عَمَواس سنة (١٨هـ): « أبو مالك الأشعري ... استشهد بالطاعون عام عمواس، هو وأبو عبيدة ومعاذ في يوم واحد، رضي الله عنهم أجمعين »^(٦).

(١) السير (١٤٨/١٦).

(٢) البداية والنهاية (٦٠٣/٩).

(٣) ينظر: البداية والنهاية (٦٧٠٦٧٢/٩) وتاريخ الإسلام للذهبي، جزء الخلفاء الراشدين (١٤٦ - ١٥٦).

(٤) البداية والنهاية (٧٧/١٠).

(٥) وقيل غير ذلك، ينظر: البداية والنهاية (٧٩/١٠).

(٦) البداية (٨٤/١٠).

وسئل شيخ الإسلام ابن تيمية عن رجل ركب البحر للتجارة، فغرق، فهل مات شهيداً؟

فأجاب: « نعم، مات شهيداً إذا لم يكن عاصياً بركوبه، فإنه قد صحَّ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (الغريق شهيد، والمبطون شهيد ...) »^(١).

وهذا هو ظاهر ما ذهب إليه العلامة ابن باز - رحمه الله تعالى - حيث سئل السؤال التالي: « أرجو من سماحتكم إفتائي في حكم إطلاق لفظة: (الشهيد) على المعين، مثل أن أقول: الشهيد فلان، وهل يجوز كتابة ذلك في المجلات والكتب، وجزاكم الله خيراً ».

فأجاب رحمه الله بقوله: « كل من سماه النبي صلى الله عليه وسلم شهيداً فإنه يسمى شهيداً، كالمطعون، والمبطون، وصاحب الهدم، والغرق، والقتيل في سبيل الله ... »^(٢).

القول الثاني: أنه لا يجوز تسمية شخص بعينه بـ (الشهيد) أو وصفه بذلك، حتى لو كان مقتولاً في جهاد الكفار، أو قتل مظلوماً، أو قتل وهو يدافع عن الحق، وهذا بخلاف الحكم بالشهادة على وجه الإطلاق والعموم، فإن هذا جائز، فيقال مثلاً: من قتل في سبيل الله فهو شهيد، والغريق شهيد، والمطعون شهيد، وهكذا ...

وهذا هو المروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وإليه ذهب الإمام البخاري، وهو الظاهر من قول ابن حجر، ونصره العلامة محمد العثيمين - عليهم رحمة الله - في عدة مناسبات.

(١) مجموع الفتاوى (٢٤/٢٩٣).

(٢) مجموع فتاوى ابن باز (١٨/٤٢٣) وينظر: فتاوى اللجنة الدائمة (١٢/٢٣).

أما ما روي عن عمر رضي الله عنه فهو قوله في خطبته بعدما نهى عن المغالاة في الصداق: « وَأُخْرَى تَقُولُونَهَا لِمَنْ قُتِلَ فِي مَغَايِكُمْ وَمَاتَ: قُتِلَ فُلَانٌ شَهِيدًا، وَمَاتَ فُلَانٌ شَهِيدًا، وَلَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ قَدْ أُوقِرَ عَجَزَ دَابَّتِهِ، أَوْ دَفَّ رَاحِلَتِهِ ذَهَبًا أَوْ وَرِقًا، يَلْتَمِسُ التَّجَارَةَ، لَا تَقُولُوا ذَاكُمْ، وَلَكِنْ قُولُوا: كَمَا قَالَ النَّبِيُّ أَوْ كَمَا قَالَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ قُتِلَ أَوْ مَاتَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ فِي الْجَنَّةِ) »^(١)

وأما البخاري فقد عقد في صحيحه باباً بعنوان: « باب: لا يقول فلان شهيد »^(٢).

قال ابن حجر في شرح الترجمة: « أي: على سبيل القطع بذلك إلا إن كان بالوحي، وكأنه أشار إلى حديث عمر »^(٣) ثم ذكر الأثر المتقدم.

وقال أيضاً بعدما ذكر ترجمة البخاري المتقدمة، وأثر عمر رضي الله عنه: « وعلى هذا فالمراد النهي عن تعيين وصف واحد بعينه بأنه شهيد، بل يجوز أن يقال ذلك على طريق الإجمال »^(٤).

(١) أخرجه النسائي في سننه: كتاب: النكاح، باب: القسط في الأصدقة (٤٢٧/٦ - ٤٢٨) ح (٣٣٤٩) وأحمد - واللفظ له - (٣٨٢/١) ح (٢٨٥) و (٤١٩/١) ح (٣٤٠) وسعيد بن منصور في سننه (١٩٢/١ - ١٩٤) (٢٥١/٢) والحاكم في مستدركه (١٩١/٢ - ١٩٢) ح (٢٧٢٥) وقال: "هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه" وابن عبد البر في التمهيد (٣٤٥/١٨) وأورده الحافظ في الفتح (٩٠/٦) وقال: "وهو حديث حسن، أخرجه أحمد وسعيد بن منصور، وغيرهما" وصححه الألباني كما في صحيح سنن النسائي (٧٠٥/٢) ح (٣١٤١).

وذكره الحافظ ابن حجر بلفظ: (ولكن قولوا كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من مات في سبيل الله أو قتل فهو شهيد) بدل (فهو في الجنة).

(٢) صحيح البخاري (١٠٦١/٣) وللأخ جزاع الشمري رسالة بعنوان: "الرأي السديد في بيان أنه لا يقال فلان شهيد".

(٣) الفتح (٩٠/٦).

(٤) الفتح (٩٠/٦).

وقال الشيخ محمد العثيمين - رحمه الله تعالى - : « لا يجوز أن يُشهد لشخص معين أنه شهيد، ولو كان قد قتل في جهاد الكفار، لأن مضمون هذه الشهادة: أنه شهد له بالجنة، والشهادة بالجنة لا تجوز إلا لمن شهد له الرسول صلى الله عليه وسلم، ولكن يقال: "يرجى أن يكون من الشهداء" أو "نرجو له الشهادة" أو ما أشبه ذلك، وأما أن يجزم فيقال: هو شهيد، فهذا حرام ولا يحل، لأنه من أمور الغيب، ثم إنه لا يدري ما في قلب هذا المقتول، فقد يقال: إنه شهيد، وهو من أبعد الناس عن الشهادة، لما كان في قلبه من إرادات سيئة ^(١) ثم ذكر ترجمة البخاري وأثر عمر رضي الله عنه المتقدم.

وقال أيضاً: « لا يجوز لنا أن نشهد لشخص بعينه أنه شهيد، حتى لو قتل مظلوماً، أو قتل وهو يدافع عن الحق، فإنه لا يجوز أن نقول: "فلان شهيد" وهذا خلاف لما عليه الناس اليوم حيث رخصوا هذه الشهادة، وجعلوا كل من قتل، حتى ولو كان مقتولاً في عصبية جاهلية، يسمونه شهيداً، وهذا حرام، لأن قولك عن شخص قتل: "هو شهيد" يعتبر شهادة سوف تسأل عنها يوم القيامة، سوف يقال لك: هل عندك علم أنه قتل شهيداً ^(٢) .

وقال أيضاً: « فنحن نشهد بالشهادة على صفة ما جاء بها النص، إن كانت في شخص معين شهدنا بها للشخص الذي عيّنه النبي صلى الله عليه وسلم، وإن كانت على سبيل العموم شهدنا بها على سبيل العموم، ولا نطبقها على شخص بعينه، لأن الأحكام الأخروية تتعلق بالباطن لا بالظاهر ^(٣) .

(١) أسئلة وأجوبة عن ألفاظ ومفاهيم (١٨ - ١٩).

(٢) المجموع الثمين (١٢١ - ١٢٢) وينظر: مجموع الفتاوى له (٣ - ١١٤ - ١١٧).

(٣) فتاوى إسلامية، جمع وترتيب: محمد المسند (٩٢ - ٩٣).

واستدل أصحاب هذا القول بعدة أدلة منها:

- حديث أبي هريرة قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:
(مَثَلُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِهِ - كَمَثَلِ
الصَّائِمِ الْقَائِمِ، وَتَوَكَّلَ اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِهِ بِأَنْ يَتَوَفَّاهُ: أَنْ يَدْخُلَهُ الْجَنَّةَ أَوْ
يَرْجِعَهُ سَالِمًا مَعَ أَجْرٍ أَوْ غَنِمَةٍ) رواه البخاري^(١).

- حديث أبي هريرة أيضاً: عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (لَا يُكَلِّمُ
أَحَدٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُكَلِّمُ فِي سَبِيلِهِ - إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
وَجُرْحُهُ يُثَعَّبُ، اللَّوْنُ لَوْنُ دَمٍ، وَالرَّيْحُ رِيحُ مِسْكٍ) متفق عليه^(٢).

والشاهد من الحديثين قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الأول: (اللَّهُ
أَعْلَمُ بِمَنْ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِهِ) وقوله في الحديث الثاني: (وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُكَلِّمُ فِي
سَبِيلِهِ).

وقد أورد البخاري - رحمه الله تعالى - هذين اللفظين في سياق واحد
تحت باب: « لا يقول فلان شهيد »^(٣).

قال الحافظ ابن حجر: « ووجه أخذ الترجمة منه يظهر من حديث أبي موسى
الماضي (مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ)^(٤) ولا يُطْلَعُ
على ذلك إلا بالوحي، فمن ثبت أنه في سبيل الله أُعْطِيَ حكم الشهادة، فقوله:

(١) في كتاب: الجهاد، باب: أفضل الناس مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله (١٠٢٧/٣) ح (٢٦٣٥).

(٢) البخاري: كتاب: الجهاد، باب: من يخرج في سبيل الله عز وجل (١٠٣٢/٣) ح (٢٦٤٩) ومسلم:

كتاب: الإمارة، باب: فضل الجهاد والخروج في سبيل الله (٢٤/١٣) ح (١٨٧٦).

(٣) صحيح البخاري (١٠٦١/٣).

(٤) متفق عليه، وسيأتي تخريجه قريباً.

(وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُكَلِّمُ فِي سَبِيلِهِ) أي: فلا يعلم ذلك إلا من أعلمه الله، فلا ينبغي إطلاق كون كل مقتول في الجهاد أنه في سبيل الله ^(١).

وقال الشيخ ابن عثيمين: « فتأمل قول النبي صلى الله عليه وسلم: (وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُكَلِّمُ فِي سَبِيلِهِ) - يكلم يعني: يجرح - فإن بعض الناس قد يكون ظاهره أنه يقاتل لتكون كلمة الله هي العليا، ولكن الله يعلم ما في قلبه، وأنه خلاف ما يظهر من فعله، ولهذا بَوَّبَ البخاري رحمه الله على هذه المسألة في صحيحه فقال: "باب: لا يقال فلان شهيد" لأن مدار الشهادة على القلب، ولا يعلم ما في القلب إلا الله عز وجل ^(٢).

- كما استدلوا بما جاء في الصحيحين من حديث سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التَّقَى هُوَ وَالْمُشْرِكُونَ فَاقْتُلُوا، فَلَمَّا مَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى عَسْكَرِهِ، وَمَالَ الْآخَرُونَ إِلَى عَسْكَرِهِمْ، وَفِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ لَا يَدْعُ لَهُمْ شَاذَةً وَلَا فَاذَةً إِلَّا اتَّبَعَهَا يَضْرِبُهَا بِسَيْفِهِ، فَقَالُوا: مَا أَجْزَأُ مِنَّا الْيَوْمَ أَحَدًا كَمَا أَجْزَأَ فُلَانٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَمَّا إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ) فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: أَنَا صَاحِبُهُ، قَالَ فَخَرَجَ مَعَهُ، كُلَّمَا وَقَفَ وَقَفَ مَعَهُ، وَإِذَا أَسْرَعَ أَسْرَعَ مَعَهُ، قَالَ: فَجَرِحَ الرَّجُلُ جُرْحًا شَدِيدًا فَاسْتَعْجَلَ الْمَوْتُ. فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفِهِ بِالْأَرْضِ وَدَبَابُهُ بَيْنَ تَدْيِيهِ ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَى سَيْفِهِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَخَرَجَ الرَّجُلُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، قَالَ: (وَمَا ذَلِكَ؟) قَالَ: الرَّجُلُ الَّذِي ذَكَرْتَ آتِنَا أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَأَعْظَمَ النَّاسُ ذَلِكَ،

(١) الفتح (٩٠/٦) وينظر: (٢٠/٦).

(٢) المجموع الثمين (١٢٢).

فَقُلْتُ: أَنَا لَكُمْ بِهِ، فَخَرَجْتُ فِي طَلَبِهِ، ثُمَّ جَرِحَ جُرْحًا شَدِيدًا فَاسْتَعْجَلَ الْمَوْتَ، فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفِهِ فِي الْأَرْضِ وَدُبَابُهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَيْهِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ ذَلِكَ: (إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلًا أَهْلُ النَّجَّةِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلًا أَهْلُ النَّارِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّجَّةِ) ^(١).

وقد أورد البخاري - رحمه الله تعالى - هذا الحديث تحت باب: « لا

يقول فلان شهيد »

قال ابن حجر: « ووجه أخذ الترجمة منه: أنهم شهدوا برجحانه في أمر الجهاد، فلو كان قتل لم يمتنع أن يشهدوا له بالشهادة، وقد ظهر منه أنه لم يقاتل لله، وإنما قاتل غضباً لقومه، فلا يطلق على كل مقتول في الجهاد أنه شهيد، لاحتمال أن يكون مثل هذا، وإن كان مع ذلك يعطى حكم الشهداء في الأحكام الظاهرة » ^(٢).

- واحتجوا أيضاً: بأن الحكم بالشهادة لمعين، شهادة له بالجنة، لأنه قد ثبت أن الشهيد في الجنة، والشهادة بالجنة لا تجوز إلا لمن شهد له الرسول صلى الله عليه وسلم.

قال الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله تعالى - : « لو شهدنا لأحد بعينه أنه شهيد لزم من تلك الشهادة أن نشهد له بالجنة، وهذا خلاف ما كان عليه أهل السنة، فإنهم لا يشهدون بالجنة إلا لمن شهد له النبي صلى الله عليه وسلم، بالوصف أو بالشخص » ^(٣).

(١) تقدم تخريجه .

(٢) الفتح (٩٠/٦) وينظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال (٩٢/٥) والمفهم (٣١٩/١ ، ٣٢٠).

(٣) مجموع الفتاوى له (١١٧/٣) وينظر: أسئلة وأجوبة عن ألفاظ ومفاهيم له أيضاً (١٨ - ١٩).

الترجيح:

الذي يترجح - والله تعالى أعلم - القول الثاني وذلك لقوة ما استدلوا به، وموافقته لمقتضى كثير من النصوص، والقواعد الشرعية.

وعليه فيجوز الحكم بالشهادة إذا كان على سبيل الإطلاق، كأن يُقال: من قُتل في سبيل الله فهو شهيد، ومن مات بالطاعون فهو شهيد، والمبطون شهيد، والغريق شهيد، وهكذا ... كما جاءت بذلك النصوص.

كما يجوز الحكم بالشهادة إذا كان على سبيل العموم، دون أن يخص أحد بعينه، كأن يقال: شهداء بدر، وشهداء أحد، وشهداء اليرموك، وشهداء حطين، وشهداء فلسطين، وشهداء الشيشان، وهكذا ...

قال الحافظ ابن حجر: « ولذلك أطبق السلف على تسمية المقتولين في بدر وأحد وغيرهما شهداء، والمراد بذلك: الحكم الظاهر المبني على الظن الغالب، والله أعلم »^(١)

وأما الحكم بالشهادة لشخص معين على وجه التحديد، فيقال مثلاً: فلان شهيد، أو الشهيد فلان، فهذا هو الذي لا يجوز، لأن ثواب الشهادة إنما هو لمن تحققت فيه أسبابها وشروطها، وانتفت عنه موانعها - وهذا مما لا سبيل إلى معرفة كثير منه إلا بوحى - فالرسول صلى الله عليه وسلم قيّد وصف الشهادة بقيود ثقال، كالإخلاص وإرادة إعلاء كلمة الله تعالى، كقوله: (مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ).

(١) الفتح (٩٠/٦).

كما أنه عليه الصلاة والسلام نفى حصول الشهادة لأناس، بسبب ما قام فيهم من المانع كالغلول، أو القتال حمية أو رياء، وعلى هذا فالذي ينبغي أن نقوله لمن قتل بسبب من أسباب الشهادة: هو شهيد إن شاء الله، أو: نرجو له الشهادة، ونحو ذلك.

ومما يؤيد هذا القول بالإضافة إلى ما تقدم من أدلة القول الثاني ما يلي:

١- أن من شرط قبول الأعمال: النية الخالصة، وهي مما لا سبيل إلى العلم بها، لأن محلها القلب، ولا يعلم ما في القلوب إلا علام الغيوب، وقد جاء في الصحيحين عن أبي موسى رضي الله عنه قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: الرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلْمَغْنَمِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلدَّكْرِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُرَى مَكَائِهِ، فَمَنْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ: (مَنْ قَاتَلَ لَتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ)^(١).

وفي رواية: الرَّجُلُ يُقَاتِلُ حَمِيَّةً، وَيُقَاتِلُ شَجَاعَةً، وَيُقَاتِلُ رِيَاءً، فَأَيُّ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ: (مَنْ قَاتَلَ لَتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ)^(٢).

قال النووي: «فيه بيان أن الأعمال إنما تحسب بالنيات الصالحة، وأن الفضل الذي ورد في المجاهدين في سبيل الله يختص بمن قاتل لتكون كلمة الله هي العليا»^(٣).

(١) البخاري: كتاب: الجهاد، باب: من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا (١٠٣٤/٣) ح (٢٦٥٥) ومسلم:

كتاب: الإمامة، باب: من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله (٥٣/١٣) ح (١٩٠٤).

(٢) البخاري: كتاب: التوحيد، باب: (وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ) (٢٧١٤/٦) ح (٧٠٢٠)

ومسلم: الموضع السابق.

(٣) شرح النووي على مسلم (٥٣/١٣) وينظر: الفتح (٢٨/٦ ، ٢٩).

وقال الشيخ ابن عثيمين: « مدار الشهادة على القلب ، ولا يعلم ما في القلب إلا الله عز وجل ، فأمر النية أمر عظيم ، وكم من رجلين يقومان بأمر واحد يكون بينهما كما بين السماء والأرض ، وذلك من أجل النية ، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم (إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهَجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهَجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ)^(١) والله أعلم »^(٢).

٢- حديث أم العلاء الأنصارية في قصة مرض عثمان بن مظعون ووفاته في بيتها، قالت: فَوَجِعَ وَجَعَهُ الَّذِي تُوفِّيَ فِيهِ، فَلَمَّا تُوفِّيَ وَغُسِّلَ وَكُفِّنَ فِي أَتْوَابِهِ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ أَبَا السَّائِبِ فَشَهَادَتِي عَلَيْكَ لَقَدْ أَكْرَمَكَ اللَّهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَكْرَمَهُ ؟) فَقُلْتُ: يَا أَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَنْ يُكْرِمُهُ اللَّهُ ؟ ! فَقَالَ: (أَمَّا هُوَ فَقَدْ جَاءَهُ الْيَقِينُ ، وَاللَّهُ إِلَهِي لَأَرْجُو لَهُ الْخَيْرَ ، وَاللَّهُ مَا أَدْرِي وَأَنَا رَسُولُ اللَّهِ مَا يُفْعَلُ بِي) قَالَتْ: فَوَاللَّهِ لَا أَزْكِي أَحَدًا بَعْدَهُ أَبَدًا (رواه البخاري^(٣)).

فتأمل قوله صلى الله عليه وسلم: (وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَكْرَمَهُ ؟) حيث أنكر عليها الجزم بهذه الشهادة ، مع أنها بنتها على ما تعلمه من ظاهر حاله ، فقد

(١) متفق عليه من حديث عمر رضي الله عنه: البخاري في مواضع: في كتاب: بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣/١) ح (١) وفي كتاب: الأيمان والنذور، باب: النية في الأيمان (٢٤٦١/٦) ح (٦٣١١) وفي كتاب: الحيل، باب: في ترك الحيل، وأن لكل امرئ ما نوى في الأيمان وغيرها (٢٥٥١/٦) ح (٦٥٥٣) ومسلم: في كتاب: الإمارة، باب: قوله صلى الله عليه وسلم: (إنما الأعمال بالنية) (٥٧/١٣) ح (١٩٠٧).

(٢) المجموع الثمين (١٢٢).

(٣) في كتاب: الجنائز، باب: الدخول على الميت بعد الموت إذا أدرج في كفنه (٤١٩/١) ح (١١٨٦).

كان من المهاجرين والمرابطين في سبيل الله، وفي إنكاره هذا إشارة إلى أن هذا الحكم مرجعه إلى ما قر في القلب، مما اختص الله تعالى بعلمه.

وتأمل قوله صلى الله عليه وسلم: (وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرْجُو لَهُ الْخَيْرَ) ففيه إرشاد وتوجيه لما ينبغي أن يقال، وهو ما عليه أهل السنة والجماعة، كما تقدم^(١).

قال أبو القاسم الأصبهاني في بيان مذهب أهل السنة: « ولا يشهدون لأحد أنه في الجنة، إلا لمن شهد له النبي صلى الله عليه وسلم، ونرجو لأهل القبلة الجنة، ونرغب في شهود جنازته وعبادته »^(٢).

وقال ابن تيمية: « قد نقف في الشخص المعين، فلا نشهد له بجنة ولا نار إلا من علم، لأن حقيقة باطنه وما مات عليه لا نحيط به، لكن نرجو للمحسن ونخاف على المسيء »^(٣).

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب في عقيدته: « ولا أشهد لأحد من المسلمين بجنة ولا نار، إلا من شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكني أرجو للمحسن، وأخاف على المسيء »^(٤).

٣- ما جاء في الصحيحين عن أبي هريرة قال: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى خَيْبَرَ، فَفَتَحَ اللَّهُ عَلَيْنَا، فَلَمْ نَعْتَمِ دَهَبًا وَلَا وَرِقًا، غَنِمْنَا الْمَتَاعَ وَالطَّعَامَ وَالثِّيَابَ، ثُمَّ انْطَلَقْنَا إِلَى الْوَادِي وَمَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَبْدُ لَهُ وَهَبُهُ لَهُ رَجُلٌ مِنْ جُدَامَ، يُدْعَى رِفَاعَةَ بْنِ زَيْدٍ مِنْ بَنِي الضُّبَيْبِ، فَلَمَّا نَزَلْنَا

(١) ينظر ص (١٠٤).

(٢) الحجة في بيان المحجة (٢/٢٨٦).

(٣) منهاج السنة (٥/٢٩٥).

(٤) الدرر السنية (١/٣٢).

الْوَادِي قَامَ عَبْدُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَحُلُّ رَحْلَهُ، فَرَمَى بِسَهْمٍ فَكَانَ فِيهِ حَتْفُهُ، فَقُلْنَا: هَيْئًا لَهُ الشَّهَادَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (كَلَّا وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بَيْنَ يَدَيْهِ، إِنَّ الشُّمْلَةَ لَتَلْتَهُبُ عَلَيْهِ نَارًا، أَخَذَهَا مِنْ الْغَنَائِمِ يَوْمَ خَيْبَرَ لَمْ تُصْبِحْهَا الْمَقَاسِمُ) قَالَ: فَفَزَعَ النَّاسُ فَجَاءَ رَجُلٌ بِشِرَاكٍ^(١) أَوْ شِرَاكَيْنِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَصَبْتُ يَوْمَ خَيْبَرَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (شِرَاكٌ مِنْ نَارٍ أَوْ شِرَاكَانِ مِنْ نَارٍ)^(٢).

أورد ابن النحاس هذا الحديث تحت باب بعنوان: « بيان تحريم الغلول، وتغليظ الإثم فيه، والدليل على أن من غلَّ في سبيل الله تعالى ثم قتل لا يكون شهيداً »^(٣).

وقال أيضاً: « اعلم أن من غلَّ شيئاً في سبيل الله تعالى ... فإنه يحرم الفوز بالشهادة، وإن قتل في جهاده، لقوله صلى الله عليه وسلم حين قال الصحابة لمن قتل في سبيل الله وقد غل: فلان شهيد، فقال: (كلا والله، إنه في النار) فنفى أن يكون شهيداً، وأكد ذلك بقسمه البار صلى الله عليه وسلم »^(٤).

٤- وفي صحيح مسلم من حديث عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ خَيْبَرَ أَقْبَلَ نَفَرٌ مِنْ صَحَابَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا: فُلَانٌ شَهِيدٌ، فُلَانٌ شَهِيدٌ، حَتَّى مَرُّوا عَلَى رَجُلٍ فَقَالُوا: فُلَانٌ شَهِيدٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

(١) الشراك: أحد سيور النعل التي تكون على وجهها. [ينظر: المجموع المغيث في غريب القرآن والحديث (١٩٠/٢) والنهاية لابن الأثير (٤٦٧/٢ - ٤٦٨).]

(٢) البخاري: كتاب: المغازي، باب: غزوة خيبر (١٥٤٧/٤) ح (٣٩٩٣) ومسلم واللفظ له: كتاب: الإيمان، باب: غلظ تحريم الغلول (٤٨٨/٢) ح (١١٥).

(٣) مشارع الأشواق (٧٩٧).

(٤) مشارع الأشواق (٨١٣).

وَسَلَّمَ: (كَلَّا إِنِّي رَأَيْتُهُ فِي النَّارِ فِي بُرْدَةٍ غَلَّهَا أَوْ عَبَاءَةٌ) ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (يَا ابْنَ الْخَطَّابِ اذْهَبْ فَنَادِ فِي النَّاسِ: أَكُنَّ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا الْمُؤْمِنُونَ) قَالَ: فَخَرَجْتُ فَنَادَيْتُ: أَلَا إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا الْمُؤْمِنُونَ^(١).

قال النووي: « قوله صلى الله عليه وسلم: (كلا) زجر ورد لقولهم في هذا الرجل أنه شهيد، محكوم له بالجنة أول وهلة، بل هو في النار بسبب غلوله »^(٢).

ولا يرد على هذا القول أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد أقر الصحابة على بعض قولهم: فلان شهيد ... لأن قولهم هذا في حياته عليه السلام فهو قائم بينهم، والله تعالى يطلعه على ما شاء من غيبه، فإذا أصابوا أقرهم، وإذا أخطئوا استدرك عليهم، كما هنا، وأتت لنا هذا بعد وفاته صلى الله عليه وسلم.

٥- روى سعيد بن منصور عن مجاهد قال: لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تبوك قال: (لا يخرج معنا إلا مُقَوَّرٌ^(٣)) فخرج رجل على بكر ضعيف، فوقص فمات، فقال الناس: الشهيد الشهيد، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا بلال ناد: إن الجنة لا يدخلها عاص)^(٤).

٦- أن قولك: فلان شهيد، في قوة قولك: هو في الجنة، فالحكم لمعين بالشهادة حكم له بالجنة، كما تقدم في أدلة القول الثاني، ولهذا نص أهل العلم

(١) كتاب الإيمان، باب: غلظ تحريم الغلول (٤٨٧/٢) ح (١١٤).

(٢) شرح النووي على مسلم (٤٨٧/٢) وينظر: (٤٨٩/٢).

(٣) "أي: ذو دابة قوية" [النهاية لابن الأثير (١٢٧/٤)].

(٤) سنن سعيد بن منصور، تحقيق الأعظمي (٢٤٨٠) وصحح إسناده الحافظ ابن حجر في الفتح (٩٠/٦).

وأخرجه عبد الرزاق في مصنفه (١٧٧/٥ - ١٧٨) ح (٩٢٩٤).

على أن من خصائص الشهيد: القطع له بالجنة، ومعلوم أن من مذهب أهل السنة والجماعة عدم الحكم لمعين بجنة ولا نار^(١).

قال ابن عبد البر بعدما أورد حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (يَضْحَكُ اللَّهُ لِرَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ كِلَاهُمَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ) قَالُوا: كَيْفَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: (يُقْتَلُ هَذَا فَيَلْبِغُ الْجَنَّةَ، ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَى الْآخَرِ فَيَهْدِيهِ إِلَى الْإِسْلَامِ، ثُمَّ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُسْتَشْهِدُ) متفق عليه^(٢).

قال: «في هذا الحديث دليل على أن كل من قتل في سبيل الله فهو في الجنة لا محالة إن شاء الله»^(٣)

وفي إكمال المعلم للقاضي عياض: «باب ثبوت الجنة للشهيد»^(٤).

وقال ابن النحاس في ذكر فضائل الشهيد: «ومنها: أن الشهادة الخالصة في سبيل الله توجب دخول الجنة قطعاً»^(٥).

وقال ابن حجر في ذكر خصائص الشهيد الأخرية: «ومن خصائصه: أنه يقطع له بالجنة»^(٦).

وهذا الثواب الأخروي للشهيد - وهو دخول الجنة - هو المتبادر إلى الأذهان عند إطلاق لفظ (الشهادة) وما يدل على هذا، ما يلي:

(١) ينظر ص (١٠٤).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) التمهيد (٣٤٤/١٨).

(٤) إكمال المعلم (٣٢٢/٦) وينظر: شرح النووي على مسلم (٤٨٧/٢).

(٥) مشارع الأشواق (٧٢٢).

(٦) بذل الماعون (١٩٢).

١- أن الصحابة لما قالوا: فُلَانٌ شَهِيدٌ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (كَلَّا إِنِّي رَأَيْتُهُ فِي النَّارِ فِي بُرْدَةٍ غَلَّهَا أَوْ عَبَاءَةٌ) والذي يقابل كونه في النار: كونه في الجنة، فلما كان المتبادر إلى أفهامهم من إطلاق لفظ الشهيد أنه في الجنة، بيّن النبي صلى الله عليه وسلم ما قام في هذا الرجل من المانع الذي يمنعه من الجنة، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (يَا ابْنَ الْخَطَّابِ اذْهَبْ فَنَادِ فِي النَّاسِ: أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا الْمُؤْمِنُونَ).

٢- ما روي عن عمر رضي الله عنه أنه قال: « وَأُخْرَى تَقُولُونَهَا لِمَنْ قُتِلَ فِي مَغَارِيكُمْ وَمَاتَ: قُتِلَ فُلَانٌ شَهِيدًا، وَمَاتَ فُلَانٌ شَهِيدًا، وَلَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَوْقَرَ عَجَزَ دَابَّتِهِ، أَوْ دَفَّ رَاحِلَتِهِ ذَهَبًا أَوْ وَرَقًا، يَلْتَمِسُ التَّجَارَةَ، لَا تَقُولُوا ذَاكُمْ، وَلَكِنْ قُولُوا: كَمَا قَالَ النَّبِيُّ أَوْ كَمَا قَالَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ قُتِلَ أَوْ مَاتَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ فِي الْجَنَّةِ) »^(١) فهي عن الحكم بالشهادة لمعين، وجعلها في قوة الحكم له بالجنة، والله أعلم.

٣- ما نصَّ عليه أهل العلم كما تقدم^(٢) من أن المراد بشهادة غير المقتول في سبيل الله، كالمطعون والمبطون: ما يتعلق بثواب الآخرة، أما ما يتعلق بأحكام الشهيد الدنيوية فلا خلاف في أنها لا تجري عليهم.

وعلى هذا، فالذي ينبغي عند إطلاق هذا اللفظ - (الشهيد) - على معين أن يُصحب بالاستثناء، والاستثناء معناه: عدم القطع والجزم، فيقال مثلاً: هو شهيد إن شاء الله، أو: يرجى له الشهادة، ونحو ذلك.

(١) تقدم تخريجه .

(٢) ينظر ص (٩٢، ٩٣).

ومثل هذا ما كان عليه السلف في لفظ الإيمان، حيث كان من هديهم الاستثناء فيه - لكونه يتعلق بباطن الشخص ومآله^(١) - ومن ذلك:

أن رجلاً قال عند ابن مسعود رضي الله عنه: أنا مؤمن، فقال ابن مسعود: « أفأنت من أهل الجنة؟ » فقال: أرجو، فقال ابن مسعود: « أفلا وكلت الأولى كما وكلت الأخرى^(٢) ».

وروى أبو وائل عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: « من شهد أنه مؤمن فليشهد أنه في الجنة^(٣) ».

وروى عنه أيضاً: أن رجلاً قال له: بينا نحن نسير إذ لقينا ركباً، فقلنا: من أنتم؟ فقالوا: نحن المؤمنون، فقال: « أولا قالوا: إنا من أهل الجنة؟! »^(٤).

-
- (١) مذهب جمهور السلف جواز الاستثناء في الإيمان وليس ذلك على سبيل الشك فيه، وإنما لأنهم يلحظون في ذلك عدة اعتبارات، كخوف التزكية، وعدم القبول، ونحو ذلك. [ينظر: الإيمان لأبي عبيد (٢١) - (٢٢) والشرعة للأجري (٢٠٦/٢) وما بعدها، وإبانة لابن بطة (٨٦٢/٢) وما بعدها، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١٠٣٧/٥) وما بعدها، ومجموع الفتاوى (٤١/١٣) وزيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه للدكتور عبد الرزاق البدر (٤٦٤ - ٤٧٧) I].
- (٢) رواه أبو عبيد في الإيمان (٢٠) والأجري في الشرعة (٦٦٤/٢) وابن بطة في الإبانة، تحقيق: رضا بن نعيان معطي (٨٦٩/٢)، ٨٧٠، وقال الألباني في تعليقه على كتاب الإيمان لأبي عبيد: " رجال إسناده ثقات رجال السنة، إلا أنه منقطع بين الحسن وابن مسعود ".
- (٣) رواه ابن أبي شيبة في كتاب الإيمان (٤٩) وعبد الله بن الإمام أحمد في السنة (٣٣٨/١) واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١٠٤٨/٥) وقال الألباني في تعليقه على كتاب الإيمان لابن أبي شيبة: " والسند إليه صحيح " يعني أبا وائل.
- (٤) رواه أبو عبيد في الإيمان (٢٠) وابن أبي شيبة في الإيمان (٢٠) وعبد الله بن الإمام أحمد في السنة (٣٢٢/١) وابن بطة في الإبانة، تحقيق: رضا بن نعيان معطي (٨٦٩/٢) واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١٠٤٩/٥) وقال الألباني في تعليقه على كتاب الإيمان لأبي عبيد: " إسناده على شرط الشيخين ".

وسئل الأوزاعي فقيهل له : أترى أن يشهد الرجل على نفسه أنه مؤمن ؟ فقال : « ومن يقول هذا؟! » فقيهل : فكيف يقول ؟ قال : « يقول : أرجو ، ولكنهم المسلمون ، تحل مناكحتهم وذبائحهم ، وتجري عليهم الحدود ، وهم في الاسم عندنا مسلمون ، ولا ندرى ما يصنع الله بهم ، ولا أشهد على أحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنجاة » قيل : فالشهداء ؟ قال : « الشهداء في الجنة ، فأما أحد أسميه باسمه ، أشهد أنه في الجنة بعد النبيين فلا » .

قال : « وبلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (أبو بكر في الجنة ، وعمر في الجنة) فهذا وأشباهه من الأحاديث عندنا حق »^(١) .

وقال ابن بطة بعدما قرر صحة الاستثناء ، وأنه طريق الأنبياء والعلماء والعقلاء ، وجميع من مضى من السلف والخلف ، وأشار إلى أن من أوجه صحة الاستثناء : البعد عن التزكية ، لأن من شهد على نفسه بالإيمان فقد شهد لها بالجنة ، قال : « فهذه سبيل المؤمنين وطريق العقلاء من العلماء : لزوم الاستثناء والخوف والرجاء ، لا يدرون كيف أحوالهم عند الله ، ولا كيف أعمالهم أمقبولة هي أم مردودة ؟ قال الله عز وجل : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ »^(٢) وأخبر عن عبده الصالح سليمان عليه السلام في مسأله إياه : ﴿ وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ ﴾ »^(٣) أفلا تراه كيف يسأل الله الرضا منه بالعمل الصالح ، لأنه علم أن الأعمال ليست

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (١٠٥٤/٥) .

(٢) سورة : المائدة ، آية : (٢٧) .

(٣) سورة : النمل ، آية : (١٩) .

بنافعة، وإن كانت في منظر العين صالحة إلا أن يكون الله عز وجل قد رضىها وقبلها، فهل يجوز لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يجزم أن أعماله الصالحة من أفعال الخير، وأعمال البر، كلها مرضية، وعنده زكية، ولديه مقبولة؟! هذا لا يقدر على حتمه وجزمه إلا جاهل مغتر بالله، نعوذ بالله من الغرة بالله، والإصرار على معصية الله»^(١).

ثم قال عن الاستثناء: « بهذا مضت سنة المسلمين، وعليه جرت عاداتهم، وأخذ خلفهم عن سلفهم، فليس يخالف في الاستثناء في الإيمان، ويأبى قبوله إلا رجل خبيث مرجئ ضال، قد استحوذ الشيطان على قلبه، نعوذ بالله منه »^(٢).

ونصَّ اللالكائي على وجوب الاستثناء في الإيمان فقال: « سياق ما ذكر من كتاب الله، وما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، والصحابة والتابعين من بعدهم، والعلماء الخالفين لهم، في وجوب الاستثناء في الإيمان »^(٣) ثم ساق النصوص في ذلك، وكان مما أورده حديث عمر رضي الله عنه قال: لَمَّا كَانَ يَوْمُ خَيْبَرَ أَقْبَلَ نَفَرٌ مِنْ صَحَابَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا: فُلَانٌ شَهِيدٌ، فُلَانٌ شَهِيدٌ، حَتَّى مَرُّوا عَلَى رَجُلٍ فَقَالُوا: فُلَانٌ شَهِيدٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (كَلَّا إِنِّي رَأَيْتُهُ فِي النَّارِ فِي بُرْدَةٍ غُلِّهَا أَوْ عَبَاءَةٌ) ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (يَا ابْنَ الْخَطَّابِ اذْهَبْ فَنَادِ فِي النَّاسِ: أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا الْمُؤْمِنُونَ) قَالَ: « فَخَرَجْتُ فَنَادَيْتُ: أَلَا إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا الْمُؤْمِنُونَ »^(٤).

(١) الإبانة (٨٧٢/٢) وينظر: (٨٦٢/٢ - ٨٦٧) والشرعية للأجري (٦٥٦/٢) وما بعدها.

(٢) الإبانة (٨٧٣/٢).

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١٠٣٧/٥).

(٤) ينظر: (١٠٤٦/٥) والحديث أخرجه مسلم، وقد تقدم.

وقال الحافظ عبد الغني المقدسي في عقيدته: « والاستثناء في الإيمان سنة ماضية، فإذا سئل الرجل: أمؤمن أنت؟ قال: إن شاء الله، روي ذلك عن عبد الله بن مسعود، وعلقمة بن قيس، والأسود بن يزيد، وأبي وائل شقيق بن سلمة ... »^(١)

والله تعالى يقول: (قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ)^(٢).

وفي الصحيحين من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْطَى رَهْطًا وَسَعْدًا جَالِسًا، فَتَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا هُوَ أَعْجَبُهُمْ إِلَيَّ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لَكَ عَنْ فُلَانٍ؟ فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَاهُ مُؤْمِنًا، فَقَالَ: (أَوْ مُسْلِمًا) فَسَكَتُ قَلِيلًا، ثُمَّ غَلْبَنِي مَا أَعْلَمُ مِنْهُ، فَعُدْتُ لِمَقَالَتِي فَقُلْتُ: مَا لَكَ عَنْ فُلَانٍ، فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَاهُ مُؤْمِنًا، فَقَالَ: (أَوْ مُسْلِمًا) ثُمَّ غَلْبَنِي مَا أَعْلَمُ مِنْهُ فَعُدْتُ لِمَقَالَتِي، وَعَادَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ قَالَ: (يَا سَعْدُ، إِنِّي لَأَعْطِي الرَّجُلَ وَغَيْرَهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ خَشْيَةً أَنْ يَكْبَهُ اللَّهُ فِي النَّارِ)^(٣).

قال النووي: « فيه أنه لا يقطع لأحد بالجنة على التعيين إلا من ثبت فيه نص، كالعشرة وأشباههم، وهذا مجمع عليه عند أهل السنة، وأما قوله صلى الله عليه وسلم: (أَوْ مُسْلِمًا) فليس فيه إنكار كونه مؤمنًا، بل معناه النهي عن القطع

(١) تذكرة المؤتسي شرح عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي (٣٠٨).

(٢) سورة: الحجرات، آية: (١٤).

(٣) البخاري: كتاب: الإيمان، باب: إذا لم يكن الإسلام على الحقيقة (١٨/١) ح (٢٧) ومسلم: كتاب:

الإيمان، باب: تأليف قلب من يخاف على إيمانه لضعفه (٥٤٠/٢) ح (١٥٠).

بالإيمان، وأن لفظة الإسلام أولى به، فإن الإسلام معلوم بحكم الظاهر، وأما الإيمان فباطن لا يعلمه إلا الله تعالى»^(١).

تنبيه: تقدم أن من مذهب أهل السنة والجماعة عدم القطع لمعين بجنة ولا نار، وهو الحق الذي تؤيده النصوص، لكن بعض أهل العلم جَوَّز الشهادة للمعين بأنه من أهل الجنة، أو أنه ولي من أولياء الله، وذلك إذا استفاض في الأمة الثناء عليه، كعمر بن عبد العزيز، والحسن البصري، ونحوهما، فعند هؤلاء تجوز الشهادة على ما في الباطن إما بنص، وإما بشهادة الأمة، وقد كان أبو ثور يشهد لأحمد بن حنبل بالجنة، واحتجوا بما في الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه قال: مرَّ بِجَنَازَةٍ فَأُتِنِي عَلَيْهَا خَيْرًا فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (وَجِبَتْ وَجِبَتْ وَجِبَتْ) ومرَّ بِجَنَازَةٍ فَأُتِنِي عَلَيْهَا شَرًّا فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (وَجِبَتْ وَجِبَتْ وَجِبَتْ) قَالَ عُمَرُ: فِدَى لَكَ أَبِي وَأُمِّي، مرَّ بِجَنَازَةٍ فَأُتِنِي عَلَيْهَا خَيْرًا فَقُلْتُ: (وَجِبَتْ وَجِبَتْ وَجِبَتْ) ومرَّ بِجَنَازَةٍ فَأُتِنِي عَلَيْهَا شَرًّا فَقُلْتُ: (وَجِبَتْ وَجِبَتْ وَجِبَتْ) فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ أُتِنْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا وَجِبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ ، وَمَنْ أُتِنْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا وَجِبَتْ لَهُ النَّارُ ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ)^(٢).

وإلى هذا القول يميل ابن تيمية، عليه رحمة الله.

قال ابن تيمية: « فمن ثبتت ولايته بالنص، وأنه من أهل الجنة، كالعشرة وغيرهم، فعامة أهل السنة يشهدون له بما شهد له به النص، وأما من شاع له لسان صدق في الأمة، بحيث اتفقت الأمة على الثناء عليه، فهل يشهد له بذلك؟ هذا فيه

(١) شرح النووي على مسلم (٢/٥٤٠ - ٥٤١).

(٢) تقدم تخريجه.

نزاع بين أهل السنة، والأشبه أنه يشهد له بذلك»^(١) واستشهد رحمه الله بالحديث السابق في عدة مواضع^(٢).

والحكم بالشهادة على المعين إذا كان ممن اتفقت الأمة على الثناء عليه لازم لهذا القول، والله أعلم.

ولهذا قال الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله تعالى - : «لو شهدنا لأحد بعينه أنه شهيد لزم من تلك الشهادة أن نشهد له بالجنة، وهذا خلاف ما كان عليه أهل السنة، فإنهم لا يشهدون بالجنة إلا لمن شهد له النبي صلى الله عليه وسلم، بالوصف أو بالشخص، وذهب آخرون منهم إلى جواز الشهادة بذلك لمن اتفقت الأمة على الثناء عليه، وإلى هذا ذهب شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى. وبهذا تبين أنه لا يجوز أن نشهد لشخص بعينه أنه (شهيد) إلا بنص أو اتفاق، لكن من كان ظاهره الصلاح فإننا نرجو له ذلك ... وهذا كاف في منقبته، وعلمه عند خالقه سبحانه وتعالى»^(٣).

لكن على هذا القول، ينبغي أن يُعلم أن المعتبر حكمهم وثناؤهم، هم أهل العلم والخير والصلاح والورع والديانة، وإلا فإن الفساق قد يجتمع ثناؤهم على من هو على شاكلتهم.

قال الداودي: «المعتبر في ذلك شهادة أهل الفضل والصدق، لا الفسقة، لأنهم قد يثنون على من يكون مثلهم»^(٤).

(١) مجموع الفتاوى (٦٥/١١) وينظر: النبوات (١٥٤/١ - ١٥٧).

(٢) ينظر ص (١٠٥) من هذا البحث.

(٣) مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن عثيمين (١١٧/٣) وينظر: (١١٦/٣).

(٤) نقل ذلك عنه الحافظ في الفتح (٢٣٠/٣) وينظر: الفروع لابن مفلح (٣٠٤/٣).

وقال الذهبي - رحمه الله تعالى - : « العدل أن من رآه المسلمون صالحاً محسناً فهو كذلك ، لأنهم شهداء الله في أرضه ، إذ الأمة لا تجتمع على ضلالة ، وأن من رآه المسلمون فاجراً أو منافقاً أو مبطلاً ، فهو كذلك ، وأن من كان طائفة من الأمة تضلله ، وطائفة من الأمة تثني عليه وتبجله ، وطائفة ثالثة تقف فيه وتتورع من الخط عليه ، فهو ممن ينبغي أن يعرض عنه ، وأن يفوض أمره إلى الله ، وأن يستغفر له في الجملة ، لأن إسلامه أصلي بيقين ، وضلاله مشكوك فيه ، فهذا تستريح ويصفو قلبك من الغل للمؤمنين .

ثم اعلم أن أهل القبلة كلهم ، مؤمنهم وفاسقهم ، وسنيهم ومبتدعهم - سوى الصحابة - لم يجمعوا على مسلم بأنه سعيد ناج ، ولم يجمعوا على مسلم بأنه شقي هالك ، فهذا الصديق فرد الأمة ، قد علمت تفرقهم فيه ، وكذلك عمر ، وكذلك عثمان ، وكذلك علي ، وكذلك ابن الزبير ، وكذلك الحجاج ، وكذلك المأمون ، وكذلك بشر المريسي ، وكذلك أحمد بن حنبل ، والشافعي ، والبخاري ، والنسائي ، وهلم جراً من الأعيان في الخير والشر إلى يومك هذا ، فما من إمام كامل في الخير إلا وثم أناس من جهلة المسلمين ومبتدعيهم يذمونهم ويحطون عليه ، وما من رأس في البدعة والتجهم والرفض إلا وله أناس ينتصرون له ، ويذبون عنه ، ويدينون بقوله بهوى وجهل ، وإنما العبرة بقول جمهور الأمة الخالين من الهوى والجهل ، المتصفين بالورع والعلم »^(١) .

وأما ما ورد عن بعض أهل العلم من إطلاق وصف الشهادة على معينين ، فلعل مرادهم - والله تعالى أعلم - : أنهم ماتوا بسبب من أسباب الشهادة

(١) السير (١٤/٣٤٣ - ٣٤٥) .

التي نصَّ عليها النبي صلى الله عليه وسلم، وعليه فيرجى لهم ثواب الشهادة، من دخول الجنة وغيره^(١)، لا أنهم أرادوا بذلك القطع له بثواب الشهادة، فإن هذا لا يعلم إلا بوحى، وهذا معنى صحيح، لكنه يلتبس بالمعنى الآخر الذي لأجله قيل بعدم الجواز، ولهذا فالأولى عدم إطلاق هذا اللفظ - (الشهيد) - على معين، وإن أُريد هذا المعنى، مالم يقيد بالاستثناء، كما تقدم، والله تعالى أعلم.

وقد يقال: يحتمل أن يكون مرادهم بإطلاق هذا اللفظ - الشهيد - على المعين: أنها تجري عليه أحكام الشهيد الدنيوية، لا أنهم أرادوا حكم الآخرة، لكن هذا احتمال بعيد، لما تقدم من أن حكم الآخرة هو المتبادر إلى الذهن عند إطلاق هذا اللفظ، ولهذا فهم يطلقونه على قتيل المعركة، وغيره ممن مات بسبب من أسباب الشهادة، ومعلوم أن أحكام الشهيد الدنيوية كعدم التكفين والتغسيل، إنما تختص بشهيد المعركة.

كما أن أهل العلم يجرون أحكام الشهيد الدنيوية على قتيل المعركة، وإن كان ممن قام به مانع من موانع الشهادة كالغلول مثلاً، حيث نفى النبي صلى الله عليه وسلم الشهادة عن الغال، وقال: (يَا ابْنَ الْخَطَّابِ اذْهَبْ فَنَادَ فِي النَّاسِ: اللَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا الْمُؤْمِنُونَ) مما يدل على أن المراد بإطلاق لشهادة شيء آخر، وهو ما يتعلق بحكم الآخرة، والله تعالى أعلم.

* * *

(١) وعليه تُحمل فتوى كل من الشيخين: ابن تيمية وابن باز عليهما رحمة الله تعالى، فتأملهما فيما من هذا البحث، والله أعلم.

الخاتمة :

في نهاية المطاف أحمد الله تعالى أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً، على عظيم نعمه،
ووافر منته، وأسأله المزيد من ذلك، وبعد:

فهذا ما تيسر جمعه وتحريره في هذه المسألة المهمة، فما كان فيه من صواب
فمن الله وحده، وما كان فيه من نقص أو خطأ أو خلل فمني ومن الشيطان،
وأستغفر الله وأتوب إليه، وقد خرجت بالنتائج التالية :

- أن الشهادة منزلة عالية، ودرجة رفيعة، لا يجوز إطلاقها إلا على من
أطلق عليه الشارع ذلك، كما لا يجوز أن يلحق بها أوصاف لم ترد بها
النصوص، فلا يجوز أن يقال: شهيد الفن، أو شهيد الوطن، أو شهيد
الواجب أو شهيد العروبة ... ونحو ذلك.

- أن الشهيد في الأصل: من قتل مجاهداً في سبيل الله، لكن جاءت
النصوص بإطلاقه على غيره أيضاً، كالمطعون والمبطون والغريق ونحوهم.

- أن أحكام الشهيد الدنيوية، كعدم التكفين والتغسيل والصلاة عليه، إنما
هي خاصة بشهيد المعركة فقط، فلا تتناول غيره من أنواع الشهداء.

- أن معتقد أهل السنة والجماعة عدم القطع لمعين بجنة ولا نار، فلا
يشهدون بذلك إلا لمن شهد له الكتاب أو السنة.

- أن الحكم بالشهادة يأتي على وجهين:

أحدهما: أن يكون ذلك على سبيل الإطلاق والعموم، كأن يقيد ذلك
بوصف جاءت به النصوص، فيقال مثلاً: من قتل في سبيل الله فهو شهيد، ومن
مات بالطاعون فهو شهيد، ونحو ذلك، فهذا لا خلاف في جوازه، حيث جاءت به
النصوص.

والثاني : أن يكون ذلك على سبيل التعيين والتحديد ، فتقيد الشهادة بشخص معين ، فيقال مثلاً : فلان شهيد ، أو مات فلان شهيداً ، أو استشهد ، ونحو ذلك ، فهذا هو الذي وقع فيه الخلاف على قولين : أحدهما : الجواز ، والثاني : المنع ، وهو الأظهر ، فلا يحكم لمعين بالشهادة إلا بنص ، وبعض أهل العلم - كابن تيمية - ألحق بذلك من اتفقت الأمة على تزكيته والثناء عليه .
وعليه فيجب الاستثناء عند الحكم بالشهادة على معين ، فيقال مثلاً : هو شهيد إن شاء الله ، أو نرجو له الشهادة ، ونحو ذلك ، والله أعلم . وصلى الله وسلم على نبينا محمد .

* * *

فهرس المصادر والمراجع :

- ١ - الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية. للإمام أبي عبد الله عبد الله بن محمد بن بطه العكبري. تحقيق : رضا بن نعيان معطي. دار الراية، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ.
- ٢ - الإيمان. للحافظ أبي بكر بن أبي شيبة. تحقيق : الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.
- ٣ - الإيمان ومعامله وسنته واستكمال درجاته. للإمام أبي عبيد القاسم بن سلام. تحقيق : الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.
- ٤ - أبواب السعادة في أسباب الشهادة. للإمام السيوطي. تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.
- ٥ - أحكام الشهيد في الفقه الإسلامي. تأليف : عبد الرحمن العمري. مكتبة دار البيان الحديث، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
- ٦ - أحكام المجاهد بالنفس في سبيل الله عز وجل في الفقه الإسلامي. تأليف : د. مرعي بن عبد الله مرعي، مكتبة العلوم والحكم، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.
- ٧ - أسئلة وأجوبة عن ألفاظ ومفاهيم. أجاب عنها فضيلة الشيخ محمد العثيمين، دار الوطن، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.
- ٨ - إكمال المعلم بفوائد مسلم المعروف بشرح القاضي عياض. للإمام عياض بن موسى اليحصبي. تحقيق د. يحيى إسماعيل. دار الوفاء، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
- ٩ - البداية والنهاية. للحافظ ابن كثير. تحقيق : د. عبد الله التركي، هجر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
- ١٠ - بذل الماعون في فضل الطاعون للحافظ ابن حجر العسقلاني، تحقيق : أحمد عصام عبد القادر الكاتب، دار العاصمة، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.
- ١١ - تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام للذهبي، تحقيق : د. عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، ١٤١٨هـ.

- ١٢- التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة. لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر القرطبي. تحقيق ودراسة: د. الصادق بن محمد بن إبراهيم، مكتبة دار المنهاج، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ.
- ١٣- تذكرة المؤتسي شرح عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي. للدكتور عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، غراس للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.
- ١٤- تفريع الكرب بفضائل شهيد المعارك والحرب. جمع ودراسة: د. باسم الجوابرة، دار الراية، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.
- ١٥- تفسير غريب ما في الصحيحين (البخاري ومسلم). للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد ابن أبي نصر الحميدي. تحقيق د. زبيدة محمد سعيد عبد العزيز. مكتبة السنة.
- ١٦- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد. لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري. تحقيق: سعيد أحمد أعراب. الناشر مكتبة ابن تيمية.
- ١٧- تهذيب اللغة. لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهرى. عناية: محمد عوض مرعب وزملائه. دار إحياء التراث العربى، ١٤٢١هـ.
- ١٨- الجهاد والقتال في السياسة الشرعية. تأليف: د. محمد خير هيكل، دار البيارق، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ.
- ١٩- جمهرة اللغة. لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد. تحقيق: د. رمزي منير بعلبكي. دار العلم للملايين، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.
- ٢٠- الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة. لقوام السنة الأصبهاني. تحقيق: الدكتور محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي، ومحمد بن محمود أبو رحيّم. دار الراية، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ.
- ٢١- الدرر السنية في الأجوبة النجدية. جمع: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم. الطبعة الخامسة، ١٤١٣هـ.
- ٢٢- الرأي السديد في بيان أنه لا يقال فلان شهيد. للأخ جزاع الشمري. مكتبة الصحابة الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

- ٢٣- رياض الصالحين. تأليف: الإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي. تحقيق: شعيب الأرنؤوط. مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية والعشرون، ١٤١٤هـ.
- ٢٤- زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه. للدكتور عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، دار القلم والكتاب، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.
- ٢٥- سنن الدارمي. للإمام أبي محمد الدارمي. عناية: محمد أحمد دهمان. دار إحياء السنة النبوية.
- ٢٦- سنن سعيد بن منصور، دراسة وتحقيق: سعد بن عبد الله الحميد، دار الصميعي الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.
- ٢٧- سنن سعيد بن منصور. تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية.
- ٢٨- سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي. حققه: مكتب تحقيق التراث الإسلامي، دار المعرفة، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.
- ٢٩- السنة. للإمام أبي عبد الرحمن عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل. تحقيق: د. محمد بن سعيد القحطاني. رمادي للنشر، الدمام، الطبعة الثالثة، ١٤١٦هـ.
- ٣٠- سير أعلام النبلاء. للإمام محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي. تحقيق: مجموعة من المختصين. إشراف: شعيب الأرنؤوط. مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السابعة، ١٤١٠هـ.
- ٣١- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة. للإمام أبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي. تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي. دار طيبة، الرياض، الطبعة الرابعة، ١٤١٦هـ.
- ٣٢- شرح رياض الصالحين. للشيخ محمد العثيمين. دار البصيرة، الإسكندرية، الطبعة الثانية.
- ٣٣- شرح صحيح البخاري. لابن بطال. اعتنى به: أبو تميم ياسر بن إبراهيم. مكتبة الرشد، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.
- ٣٤- شرح صحيح مسلم. لمحيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي. راجعه: خليل الميس. الناشر دار القلم.

- ٣٥- شرح العقيدة الطحاوية. للإمام علي بن علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي. تحقيق: د. عبد الله التركي وشعيب الأرناؤوط. مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ.
- ٣٦- الشريعة. للإمام أبي بكر محمد بن الحسين الآجري. تحقيق: د. عبد الله بن عمر الدميحي. دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
- ٣٧- الصحاح. للجوهري. عناية: مكتب التحقيق بدار إحياء التراث العربي. دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
- ٣٨- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان. لعلي بن بلبان الفارسي. تحقيق: شعيب الأرناؤوط. الناشر مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٨هـ.
- ٣٩- صحيح البخاري. ضبطه ورقمه واعتنى به: د. مصطفى ديب البغا. دار ابن كثير، دمشق، بيروت، اليمامة، دمشق، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ.
- ٤٠- صحيح سنن أبي داود. صحح أحاديثه محمد ناصر الدين الألباني. مكتب التربية العربي لدول الخليج، توزيع المكتب الإسلامي في بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.
- ٤١- صحيح سنن النسائي. للشيخ محمد ناصر الدين الألباني. الناشر: مكتب التربية العربي لدول الخليج، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.
- ٤٢- طرح الثريب في شرح التقريب. لزين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي وابنه أبي زرعة العراقي. دار إحياء التراث العربي.
- ٤٣- عقيدة السلف وأصحاب الحديث. للإمام أبي عثمان إسماعيل الصابوني. د. ناصر بن عبد الرحمن الجديع. دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
- ٤٤- عون المعبود شرح سنن أبي داود. لأبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي. الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٤٥- فتاوى إسلامية. لمجموعة من أصحاب الفضيلة العلماء. جمع وترتيب: محمد بن عبد العزيز المسند. دار الوطن، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

- ٤٦ - فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء. جمع وترتيب: الشيخ أحمد بن عبد الرزاق الدويش. تحت إشراف رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الطبعة الثالثة، ١٤١٩هـ.
- ٤٧ - فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري. للحافظ أحمد بن علي بن حجر القسطلاني. تصحيح وتحقيق وإشراف: الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز. الناشر: دار الفكر.
- ٤٨ - الفروع. للعلامة ابن مفلح المقدسي. تحقيق: د. عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.
- ٤٩ - لسان العرب. للعلامة أبي الفضل ابن منظور. مكتبة العلوم والحكم، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.
- ٥٠ - المجموع الثمين من فتاوى فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، الجزء الأول، جمع وترتيب: فهد بن ناصر السليمان، دار الوطن، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.
- ٥١ - مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية. جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي.
- ٥٢ - مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، دار الوطن للنشر، الطبعة الأخيرة، ١٤١٣هـ.
- ٥٣ - مجموع فتاوى ومقالات متنوعة. لسماحة الشيخ عبد العزيز ابن باز. جمع: د. محمد بن سعد الشويعر. تحت إشراف رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الطبعة الثالثة، ١٤٢١هـ.
- ٥٤ - المجموع المغيث في غربي القرآن والحديث. للإمام أبي موسى المديني الأصفهاني. تحقيق: عبد الكريم الغرابوي. من مطبوعات جامعة أم القرى، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

- ٥٥- المستدرك على الصحيحين. للحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.
- ٥٦- مسند الإمام أحمد بن حنبل، للإمام أبي عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني. تحقيق مجموعة من المختصين، بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط. مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ.
- ٥٧- مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق وثير الغرام إلى دار السلام (في الجهاد وفضله) لأبي زكريا أحمد بن إبراهيم الدمياطي. المشهور بابن النحاس. تحقيق ودراسة: إدريس محمد علي ومحمد خالد إسطنبولي، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الثالثة، ١٤٢٣هـ.
- ٥٨- المصنف. للحافظ عبد الرزاق الصنعاني. تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي. المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.
- ٥٩- معجم مقاييس اللغة. لأبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. دار الجليل.
- ٦٠- معجم المناهي اللفظية. للشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد. دار العاصمة، الطبعة الثالثة، ١٤١٧هـ.
- ٦١- المغني في شرح مختصر الخرقي. لابن قدامة. تحقيق: د. عبد الله التركي وعبد الفتاح الحلو، هجر للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ.
- ٦٢- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم. للإمام أبي العباس أحمد بن عمر القرطبي. تحقيق: محيي الدين مستو وزملائه. دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
- ٦٣- منهاج السنة النبوية. لشيخ الإسلام ابن تيمية. تحقيق: د. محمد رشاد سالم. طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.
- ٦٤- النبوات. لابن تيمية. تحقيق: د. عبد العزيز بن صالح الطويان. أضواء السلف، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

- ٦٥- النهاية في غريب الحديث والأثر. لمجد الدين المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير. تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي. الناشر: دار الفكر.
- ٦٦- الموطأ. للإمام مالك بن أنس. عناية: محمد فؤاد عبد الباقي. دار الكتب العلمية.

* * *